

## التعليم في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم)

حسين علي حسين الجبوري

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على معلم البشرية محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فقد أثبتت الأدلة والشواهد والتجارب أن أساس أي تقدم في أي ميدان من ميادين الحياة وبناء الحضارات هو "العلم".

ومن هنا فقد حازت رسالة الإسلام الخالدة المتمثلة في القرآن والسنة على أعظم تراث علمي شهدته الإنسانية في القديم والحديث.

ولا غرابة في ذلك، فقد كان أول خطاب قرآني تضمن دعوة صريحة إلى التعلّم ومباشرة القراءة بقوله تعالى: ﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾<sup>(١)</sup>.

وتتابعت الآيات بعد ذلك تصريحاً وتلميحاً بالدعوة إلى التعلم والتعليم على حد سواء، ثم إن النبي - صلى الله عليه وسلم - عبّر عن مضمون الرسالة ومحتواها بأبلغ تعبير حيث حصر مهمته التي بعث من أجلها بقوله:

"إنما بعثت معلماً"<sup>(٢)</sup>.

ومن أجل ذلك انطلق النبي - صلى الله عليه وسلم - تلبية لنداء القرآن الخالد وعملا بمضمون رسالته التي عبّر عنها، يخطط ويجتهد في وضع سياسة تعليمية شاملة للارتقاء بهذه الأمة نحو آفاق العلم والمعرفة لتكون خير أمة أخرجت للناس، وقد كانت وما زالت بحمد الله.

وذلك لأن الكبوة أصابت الأمة كأفراد. ولم تصب المنهج، فالمنهج محفوظ بحفظ الله - تعالى - له، وتطبيقاته العملية التي عبرت عنه أصدق تعبير في عصر الرسول - صلى الله عليه وسلم - والخلفاء الراشدين، وما تلتها من تجارب الأمة فيما بعد على مر العصور محفوظة وموثقة عن طريق النقل الصحيح والإسناد المعتبر.

وهذا البحث محاولة متواضعة لاستقراء عهد السيرة، وتدوين ما أمكن من وسائل ومناهج وإشارات تفيد في تطوير العملية التعليمية.

إنه مهما تقدمت مناهج التعليم فلا نزال بحاجة ماسة إلى اللبنة الأولى التي وضعها النبي - صلى الله عليه وسلم - لإرساء نظام متكامل في العملية التعليمية. وذلك لعدة أسباب:

السبب الأول: مكانة النبي - صلى الله عليه وسلم - الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، تجعل ما يقوله وما يعلمه حقاً خالصاً وصواباً كاملاً.

السبب الثاني: أن العلوم الشرعية لها طبيعتها في التحمل والأداء، وذلك لأنها ترتبط بخشية الله تعالى وترسيخ القيم والأخلاق الإيمانية. وقد عبر عن ذلك كله عصر صدر الإسلام أصدق تعبير.

السبب الثالث: لقد استخدم النبي - صلى الله عليه وسلم - كافة الوسائل المتاحة في عصره، ولم يترك وسيلة متوفرة إلا واستعملها في أداء العلم وتبليغه، مما يحتم علينا أن نستخدم المتاح في عصرنا، فكل عصر له إمكانياته، ولا عيب في ذلك ولكن العيب هو التقصير في استخدام الوسائل بل وعدم تطويرها.

السبب الرابع: أنه من الواضح أن الإنتاج الفكري والعلمي وهذا التراث الهائل الذي أنتجته هذه الأمة، والذي تعبر عنه مكتباتها شرقاً وغرباً في شتى فنون المعرفة، لم يكن أمراً عارضاً، وإنما حصل بفضل التأسيس الذي وضع لبنته الأولى معلم البشرية محمد - صلى الله عليه وسلم.

ومن هنا كان لابد لنا من الاستفادة من الطرق والوسائل التي طبقت في عصر سيرته، للاستفادة منها في عصرنا هذا ومن أجل ذلك كان هذا البحث.

التمهيد:

أولاً: حالة المجتمع العلمية والثقافية عند البعثة النبوية:

القراءة والكتابة هما الوسيلتان الوحيدتان لاكتساب العلم والمعرفة في كل زمان ومكان، فإذا انعدمت هاتان الوسيلتان أو إحداهما، فإن ذلك يؤدي إلى انعدام العلم أو ضموره.

والتأمل لأحوال المجتمع المكي خاصة مجتمع الجزيرة بوجه عام، يلحظ ضعفاً بيناً في الناحية العلمية والثقافية، وذلك لأن نصيب القراءة والكتابة يكاد يكون معدوماً، وهذا ما عبر عنه

النبي - صلى الله عليه وسلم - بقوله: "إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب" (٣).

وهذا الحكم على الغالب (٤)، فقد وجد بعض من يقرأ ويكتب، ولكنه نادر، حيث يذكر بعض المؤرخين أن عدد من كانوا يكتبون في قريش عند دخول الإسلام سبعة عشر رجلاً (٥). وربما ذكروا عدداً مقارباً لهذا العدد في المدينة المنورة حيث حددهم الواقدي (٦) بأحد عشر رجلاً.

وهذا يدل بوضوح على قلة القائمين على أمر القراءة والكتابة، وبالتالي ضعف الجانب العلمي والثقافي في مكة وما حولها بالرغم من شيوع رواية الأشعار والتفاخر بحفظها والاجتماع لسموعها عن طريق المشافهة والإلقاء.

وفي هذا الجو، وفي هذا المكان بعث معلم البشرية - عليه الصلاة والسلام - معبراً عن مضمون الرسالة بقوله: "إنما بعثت معلماً" (٧).

ثانياً: القرآن الكريم يدعو إلى التعلّم والتعليم:

نزل القرآن الكريم على سيد البشرية محمد - صلى الله عليه وسلم - وأول نداء فيه في أول آية منه هو قوله تعالى: ﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (٨). وأعاد جبريل - عليه السلام - صدر الآية ثلاثاً، مما يدل على أهميتها (٩).

وأقسم الله - عز وجل - بالقلم في قوله: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (١٠)، وتلك إشارة واضحة إلى منزلة القلم، وأن العلم ينال بالكتابة، وأنها أصل العلم.

ورفع القرآن من شأن أهل العلم بقوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ﴾ (١١)، حيث قرنهم بنفسه مع ملائكته، وذلك لشرفهم وعلو منزلتهم.

وحتّ القرآن في آيات كثيرة على التفقه، منها قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (١٢)، كما أوجب تبليغه في آيات أخرى بقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ (١٣).

ولعن الله - عز وجل - الذين يكتُمون العلم بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١٤).

هذه بعض الإشارات القرآنية وسواها أكثر كلها تدعو إلى تحمل العلم وأدائه على حد سواء.

وتلك دلالة واضحة على مكانة العلم والعلماء، ودعوة صريحة لاكتساب تلك المكانة السامية.

ثالثاً: السنة تدعو إلى التعلم والتعليم:

السنة المطهرة صنو القرآن الكريم، فمنذ الوهلة الأولى لنزول الوحي بدأ النبي - صلى الله

عليه وسلم - يرسم معالم منهج واضح، ويرغب في سلوك الجادة من أجل تحصيل العلم وتبليغه.

قال عليه الصلاة والسلام: "من سلك طريقاً يبتغي به علماً سهل الله له به طريقاً إلى

الجنة" (١٥)، وقال في حديث آخر: "نصر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه، فرب مبلغ

أحفظ له من سامع" (١٦).

وفي هذا تحريض على الحرص في العلم والعناية بتحملة على أحسن وجه، وكذلك القيام

بأدائه، فلعل المؤدى إليه يفوق المؤدى في الحفظ والإتقان. وفيه إثبات للفروق الفردية في الحفظ

والاستيعاب، فلا يبخل شيخ على تلميذه بمعلومة فربما تلامس أذنًا صاغية وقلباً واعياً وإدراكاً سليماً،

وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

ثم إن قضية أداء العلم وتبليغه، ليست قضية مزاجية تتبع رغبة العالم في الأداء وعدمه، فقد

حذر النبي - صلى الله عليه وسلم - من عدم التبليغ أشد تحذير بقوله: "من سئل عن علم ثم كتمه

ألجمه الله بلجام من نار" (١٧)، وقوله: "بلغوا عني ولو آية" (١٨).

هذه بعض التوجيهات النبوية التي تدعو إلى طلب العلم وتحمل المشاق في سبيل تحصيله،

وكذلك الحال في أداءه وتبليغه.

## الفصل الأول

خطة التعليم الأولى التي وضعها النبي - صلى الله عليه وسلم:

تمهيد:

لقد بعث الله محمد - صلى الله عليه وسلم - برسالة عالمية لجميع البشر، كما أنها الرسالة

الخاتمة التي ستبقي ما بقي الليل والنهار.

والأمة التي بعث منها وفيها، أمة أمية، لا تكتب ولا تحسب، ومن أجل ذلك كان واجب

النهوض بهذه الأمة لتصحيح أمة العلم والمعرفة كما أرادها الله عز وجل.

ومن هنا وضع النبي - صلى الله عليه وسلم - خطته التعليمية الشاملة، وهي أول خطة

تعليمية تشهدا البشرية، ولعل المباحث الآتية تكشف عن مضمون الخطة ومحتواها، والله المستعان.

## المبحث الأول: التأهيل العام.

التأهيل لغة: أهله لذلك الأمر تأهيلاً، وأهله رآه أهلاً، واستأهله واستوجبه والتأهيل التزويج، وتأهل وتأهل اتخذ أهلاً(١٩).

والتأهيل سنة إلهية في الكون والحياة يخضع لها كل إنسان ليتأهل حتى يقوم بدوره، والنبي - صلى الله عليه وسلم - كان ممن تأهل لذلك قبل البعثة، فعيشه عند مرضعته حليلة السعدية تأهيل، ورعيه للغنم تأهيل، وتجارته إلى الشام تأهيل، وخلوته بغار حراء تأهيل فكري وروحي لاستقبال وحي السماء.

وقد نزل الوحي على النبي - صلى الله عليه وسلم - المؤهل، ليؤهل الأمة لتكون خير أمة أخرجت للناس، ولكن من وصف هذه الأمة التي بعث منها وفيها، أنها لا تملك مقومات الأمة، فالقبائل المتنازعة يسودها الجهل والأمية وتغلب عليها العصبية وتمزقها النعرات وتطحنها الحروب.

بعث محمد - صلى الله عليه وسلم - وكلف من الله عز وجل ليعلم هذه الأمة بصريح القرآن الكريم حيث قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾(٢٠).

عندما أعلن النبي - صلى الله عليه وسلم - عن مهمته التي تركز على جانبيين مهمين يكمل أحدهما الآخر:

الجانب الأول: "إنما بعثت معلماً"(٢١).

الجانب الثاني: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"(٢٢).

وبهذين المحورين بدأ النبي - صلى الله عليه وسلم - عملية التأهيل وهي عملية شاقة تحتاج إلى همة عالية مع صبر، وتنوع في الأساليب والطرق.

وذلك لأنها تتصل بشرائح المجتمع كافة، وكل شريحة لها طبيعتها وأعرافها، بل في بعض الأحيان تجد لكل إنسان من الطبائع ما ليس لغيره، ومن هنا تنوع الخطاب من قبل النبي - صلى الله عليه وسلم - مراعيًا تلك الأحوال ومخاطبًا الناس على قدر عقولهم، ففي حديث علي رضي الله عنه قال: "حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله"(٢٣).

والمراد "بما يعرفون": أي بما يفهمون، وعند آدم بن أبي إياس في كتاب العلم زيادة: "ودعوا ما ينكرون": أي ما يشتبه عليهم فهمه، وفيه دليل على أن التشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة، وقال ابن مسعود: "ما أنت محدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة"(٢٤).

ثم إنه لم يهمل الفوارق الفردية كأسلوب من أساليب التأهيل، فخص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا عنه، هكذا عنون الإمام البخاري في صحيحه (٢٥).

وأخذ بقاعدة المصالح والمفاسد، حين أعرض عن هدم الكعبة وإعادتها على قواعد إبراهيم مراعاة لأفهام الناس وإدراكهم، وعنون البخاري لذلك فقال: باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه (٢٦).

فأصبح بعد ذلك قاعدة أصولية ذهبية تبنى عليها كثير من الأحكام، ألا وهي: "درء المفاسد مقدم على جلب المصالح".

إن نجاح الأسلوب سبب مباشر في نجاح مهمة التأهيل، وهو في غاية الأهمية ولذلك بدأ النبي - صلى الله عليه وسلم - ببيان قواعد الإسلام المهمة، فبين أركان الإسلام بعبارات سهلة جامعة فقال: "بني الإسلام على خمس - شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان" (٢٧).

ثم ببيان أصول الإيمان وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره من الله تعالى (٢٨).

وذلك ليربط الإنسان بربه ليتأهل فيما بعد لطاعة الله - عز وجل - وتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه عن قناعة وطواعية كما حصل في قضية تحريم الخمر، فسرعان ما وصل حكم الشرع خبر السماء إلى آذان الناس أريقت دنان الخمر حتى فاضت شوارع المدينة المنورة (٢٩).

وقس على هذا بقية الأوامر والنواهي، ولولا تأهيل الناس لذلك لما سمعوا بهذا اليسر وهذه السهولة، ولم ينس النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يفقههم بمسلك الاعتدال حتى لا يقعوا في الإفراط أو التفريط حين قال: "إن لربك عليك حقاً وإن لنفسك عليك حقاً وإن لزوجك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه" (٣٠). ثلاثة محاور مهمة: صلة الإنسان بربه وصلته بنفسه وصلته بالآخرين بالتوازن المطلوب كفيلة بسعادة هذا الإنسان بل الأمة بأسرها، وتندرج تحت هذه المحاور تفصيلات تشكل قواعد للتأهيل الاجتماعي والسلوكي، وكفيلة بصيانة الأمة وتماسكها ومن هذه القواعد:

انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً (٣١). - ليتحقق العدل الاجتماعي.

المسلم أخو المسلم لا يسلبه ولا يظلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربة من يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم

القيامة (٣٢).

ففي ذلك دعوة إلى التكافل والتعاون والتناصح:

• كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في بيته ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في بيت سيده ومسؤول عن رعيته(٣٣).

وتأهيل لأفراد الأمة لتحمل المسؤولية رجالاً ونساءً كباراً وصغاراً:

• إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد(٣٤).  
التأهيل للتعايش بأمن وسلام:

• لا تحاسدوا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله إخواناً(٣٥).

وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يطمع من هذا التأهيل أن يتحقق قوله:

”المسلمون كرجل واحد، إن اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله”(٣٦).

ولا أريد الإطالة في سرد أحاديثه - صلى الله عليه وسلم - في هذه العجالة، فإنه يترك باباً من الخير إلا دلَّ عليه ولا باباً من الشر إلا حذر منه، علم الأمة الرفق واللين والتعاون والتناصح وآداب الاستئذان وغير ذلك من حقوق الناس وحسن الصلة وقوة الآصرة، وكتب الأدب والمناقب والفضائل في كتب السنة تكشف عن ضخامة تلك التفصيلات والتوجيهات.

أما طريقته - صلى الله عليه وسلم - فتختلف باختلاف الظروف والأحوال، ومن أبرز طرقه في التأهيل العام:

#### ١ - الخطب العامة:

كخطبة الجمعة والعيدين والمواسم حيث كانت مناسبة لتوجيه الناس وتعليمهم وأعظم خطبة هي خطبته يوم النحر التي حضرها أكثر من مائة ألف، ومن جملة ما قال فيها: ”إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا”(٣٧).  
ومن تعليمه للناس يوم الجمعة شهادة أخت عمرة بنت عبدالرحمن حيث تقول: أخذت ﴿ق﴾، وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ ﴿﴾ من في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يقرأ بها على المنبر في كل جمعة(٣٨)، وقد شهدت صحابية أخرى وهي أم هشام بنت النعمان، حيث تعلمت تلك السورة بنفس الطريقة(٣٩).

أما خطب العيدين فكانت وسيلة لأداء النصيحة والتعليم، فكان يخطب الناس ويخص النساء بالموعظة والتذكير(٤٠).

مواظبه ودروسه العامة في المسجد بعد الصلوات: +٢

فهذا العرياض بن سارية رضي الله عنه يقول: "صلى لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلاة المجر ثم وعظنا موعظة ذرفت منها العيون، ووجلنت منها القلوب... " الحديث (٤١). وتشير رواية في صحيح مسلم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - بقي يوماً كاملاً يخطب، لا ينزل إلا للصلاة فقط، ثم يصعد المنبر يعلم الناس (٤٢)، وهذا نوع من التأهيل لجميع الناس.

أجوبته عن الأسئلة نوع من التأهيل: +٣

ولطالما سأله الأعراب فأجابهم بكل رفق ولين، كما هو حال ذلك الأعرابي الذي قدم من نجد ثائر الرأس، يسمع لصوته دوي، ولا يفقه ما يقول حتى دنا من النبي - صلى الله عليه وسلم - وسأله عن الإسلام، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خمس صلوات في اليوم والليلة، فقال: هل علي غيرها؟ قال: لا إلا أن تطوع.

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصيام رمضان، قال: هل علي غيره؟ قال: لا إلا أن تطوع. قال وذكر له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الزكاة، قال: هل علي غيرها؟ قال: لا إلا أن تطوع. قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد علي هذا ولا أنقص.

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أفلح إن صدق (٤٣).

وكان للوفود نصيبها من التأهيل حين يسألون النبي - صلى الله عليه وسلم - ويجيبهم، كما حصل لوفد عبد القيس (٤٤).

بل وقد راعى النبي - صلى الله عليه وسلم - أحوال السائلين حتى وهو على المنبر يخطب الجمعة كما حدث لأبي رفاعه حيث قال: انتهيت إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يخطب، قال فقلت يا رسول الله: رجل غريب جاء يسأل عن دينه لا يدري ما دينه؟

قال فأقبل علي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وترك خطبته حتى انتهى إلي، فأتي بكرسي حسبت قوائمه جديداً، قال: فقعد يعلمني مما علمه الله، ثم أتى الخطبة فأتّم آخرها (٤٥).

شهوده المناسبات: +٤

وعنون البخاري لذلك باباً فقال: باب موعظة المحدث عند القبر، واستدل بحديث النبي -

صلى الله عليه وسلم - وموعظته، ومن ذلك قوله: "اعملوا، فكل ميسر لما خلق له" (٤٦).

وكثيراً ما كان يغشى الناس في منازلهم ويعود مرضاهم ويعظهم ويعلمهم (٤٧).

وخلاصة الأمر أنه كان لا يدع فرصة من ليل أو نهار في حضر أو سفر، إلا ويذكر ويعلم ويعظ وينصح عليه أفضل الصلاة والسلام.

وهناك مثال آخر يكشف أثر التأهيل العام وثمراته في حياة الناس: شهد أعرابي فتح خيبر، فأراد النبي - صلى الله عليه وسلم - أثناء المعركة أن يقسم له قسماً وكان غائباً، فلما حضر أعطوه ما قسم له، فجاء به النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: ما على هذا اتبعتك، ولكن اتبعتك على أن أرمى ها هنا - وأشار إلى حلقه بسهم - فأدخل الجنة، قال: إن تصدق الله يصدقك.

قال فلبثوا قليلاً ثم نهضوا في قتال العدو فأتي به يُحمل وقد أصابه سهم حيث أشار، فكفنه النبي - صلى الله عليه وسلم - ودعا له، فكان مما قال: "اللهم إن عبدك خرج مهاجراً في سبيلك فقتل شهيداً، وأنا عليه شهيد" (٤٨).

فهذا الأعرابي الذي كانت حياته السلب والنهب والسطو، تحولت ببركة التأهيل إلى نموذج طموح يدافع عن الإسلام بل ويبذل روحه في سبيله، وهناك حالات كثيرة تدل على مثل هذا وأكثر. وخلاصة القول: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - استطاع أن يؤهل الأمة، كما أنه استطاع أن يقيم مجتمعاً يعرف كل فرد من أفراد موقعه ويفهم ما يراد منه.

ولعل السر في نجاحه يرجع إلى عدة عوامل:

- ١- ارتباط عملية التأهيل بعقيدة و وحي من الله عز وجل.
- ٢- التدرج عامل مهم في تحقيق النجاح.
- ٣- وضوح الفكرة وتحديد الهدف.
- ٤- مراعاة الفروق الفردية واختلاف طبائع الناس.
- ٥- الأسلوب وطرق الأداء.
- ٦- القدوة الحسنة لها تأثيرها في ترسيخ المبادئ والقيم.

وعليه فلا بد من الاستفادة من هذا الجهد في أي عملية تأهيلية لاحقة، ومما ينبغي التنبيه عليه هنا أن ما أصاب الأمة من ضعف في المفاهيم والتصورات، وفي القيم والأخلاق إنما يرجع في المقام الأول إلى إهمال هذا الجانب، وخاصة عندما نمت فكرة الفصل بين التعليم الديني والمدني، لتصبح واقعاً مطبقاً في جامعاتنا ومدارسنا.

ولإصلاح هذا الخلل واستدراك هذا الضعف في مقومات الأمة، لا بد من خطة شاملة تأهيلية تغطي جميع دوائر المجتمع، ترعاها النخب الفاعلة في المجتمع من علماء ومفكرين وتربويين ومصلحين، حتى تتمكن الأمة من استعادة عزتها، لتصبح في موقع الصدارة والريادة كما كانت في صدر الإسلام.

## المبحث الثاني: التخصص

لقد سبق أن أشرت إلى دائرة التأهيل العام، وهي الدائرة التي تشمل جميع الناس فهناك دائرة أضيّق لا يصلح لها إلا أفراد من الأمة يجمعون بين الموهبة والمقدرة على كسب العلم. وبما أن علوم الإسلام تمتاز بالسعة والشمول والدقة لتغطي حاجيات المجتمع بكل أشكالها، عمد النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى الاهتمام بالتخصص وتنمية المواهب ببراعة وحسن توجيه، ونستطيع أن نلمح فروع التخصص في توجيه النبي - صلى الله عليه وسلم - أفراداً معينين لكتابة ونسخ القرآن الكريم وغيره، وقد بلغ عددهم واحداً وستين كاتباً<sup>(٤٩)</sup>.

وفي نفس التخصص هناك دائرة أخص من كتابة القرآن، ألا وهي الحفظ والإتقان، فقد قال - صلى الله عليه وسلم: "خذوا القرآن من أربعة، من عبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ وأبي بن كعب"<sup>(٥٠)</sup>. وهذه إشارة إلى وجود فريق متخصص في إتقان القرآن وضبطه، وربما كان هناك تخصص آخر، وهو جمع القرآن الكريم كما جاء في حديث أنس - رضي الله عنه - قال: "مات النبي - صلى الله عليه وسلم - ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد، قال ونحن ورثناه"<sup>(٥١)</sup>. ولذلك ولم يجد الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - عناء في جمع القرآن الكريم لأن كتابه معروفون، وأهل الحفظ والإتقان متوافرون - وأهل الجمع جاهزون، حين جمع أبو بكر - رضي الله عنه - القرآن<sup>(٥٢)</sup> ثم جمعه عثمان بن عفان - رضي الله عنه<sup>(٥٣)</sup>.

ولم يكن أمر السنة ببعيد عن التخصص، فقد كان هناك من تصدّى لكتابة السنة ومنهم عبدالله بن عمرو بن العاص، فقد أذن له النبي - صلى الله عليه وسلم - دون غيره<sup>(٥٤)</sup>. وتفرغ لقضية الحفظ أبو هريرة - رضي الله عنه<sup>(٥٥)</sup>.

كما تميّز ستة من الصحابة عرفوا بكثرة الرواية، وهم: أبو هريرة وعبدالله بن عمر بن الخطاب وعائشة وجابر وأنس وابن عباس، وأبو هريرة أكثرهم حديثاً<sup>(٥٦)</sup>.

ولم يكن هذا التوجيه النبوي لكتابة السنة من قبل أناس، وحفظها في الصدور من قبل أناس آخرين عفويّاً، إنما جاء نتيجة لمعرفة بإمكانات من حوله ورغباتهم.

فعمد الله بن عمرو بن العاص كان يجيد الكتابة، فوجد في نفسه رغبة لكتابة الحديث، وبدأ يكتب كل شيء يسمعه من النبي - صلى الله عليه وسلم - فنهته قريش عن ذلك فأمسك عن الكتابة، فذكر ذلك للرسول - صلى الله عليه وسلم - فقال له: "اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحق"<sup>(٥٧)</sup>.

واستمر عبدالله في الكتابة، فأثمرت كتابته للحديث بصحيفة كان يعتز بها، وسماها الصادقة، وكان يقول: "إذا سلمت لي هذه وكتاب الله والوهظ(٥٨)، فما أبالي ما كانت عليه الدنيا"(٥٩). وكذلك شأن الحفظ، فحينما وجد النبي - صلى الله عليه وسلم - أبا هريرة - رضي الله عنه - راغباً في حفظ الحديث والتفرغ له، أقره على ملازمته، وبذل الحديث له، يقول أبو هريرة: "وإن إخواننا الأنصار كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخواننا الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بشبع بطنه، ويحضر ما لا يحضرون، ويحفظ ما لا يحفظون"(٦٠).

ومن رعاية النبي - صلى الله عليه وسلم - له أنه خصه بالدعاء حين شكاه له النسيان فقال: "ابسط رداءك"، قال فبسطته، قال فغرف بيده ثم قال: ضمه فضممته، فما نسيت شيئاً بعده"(٦١). وهذه الحادثة تعكس مدى الرعاية النبوية للتلاميذ، وقوة العلاقة بين العالم والمتعلم، حيث يبث التلميذ لشيخه آلامه وآماله، وهذا هو الجو الصحيح لنجاح العملية التعليمية. إن قضية التخصص أفرزت لنا بكل وضوح عناصر الحفظ لسنة النبي - صلى الله عليه وسلم - فنرى من كان يحفظ في الصدور، وهذا جانب مهم جداً ينبغي ألا يتعطل. لأن الاتكال على الكتابة يؤدي إلى ضمور الذاكرة، وبالتالي قلة المحفوظ.

والمسلم مطالب بحفظ القرآن الكريم تعبدًا، وكذلك السنن المأثورة التي يعايشها في نهاره وليله. وفي صباحه ومساءه وكل أحواله. والجانب الثاني وهو مكتوب في السطور، أجازته النبي - صلى الله عليه وسلم - كما مر.

وبهذا التوجيه النبوي الدروس، حفظت السنة من الضياع بتوفير عنصري الحفظ لها، ولعل النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يغفل كذلك عن قضية الفتوى، فبدأ يهيئ أناساً من الصحابة لسد هذا الجانب، فأفرز هذا التوجيه جملة من الصحابة تخصصت في الفتوى، منهم ابن عباس، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وأبي، وزيد، وأبو الدرداء، وابن مسعود(٦٢).

وجمع ابن حزم الظاهري أسماء فقهاء الصحابة، حيث بلغ عددهم اثنتين وستين ومائة صحابي. منهم الكثير والمتوسط والمقل(٦٣).

بل إن هناك تخصصات دقيقة أوكل النبي - صلى الله عليه وسلم - أمرها إلى بعض أفراد الصحابة، فعلي - رضي الله عنه - تخصص في القضاء، ومعاذ بن جبل - رضي الله عنه - في الحلال والحرام. زيد بن ثابت في الفرائض(٦٤).

ومن مسائل التخصص التي راعاها النبي - صلى الله عليه وسلم - تعلم اللغات الأجنبية ،  
حيث أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - زيد بن ثابت بتعلم السريانية ، فتعلمها وكان يقرأ  
لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويرد عليهم إذا كتبوا (٦٥).

ولاشك أن هذا يؤكد مدى اهتمام النبي - صلى الله عليه وسلم - بمعرفة أحوال الأمم حوله ،  
وتوفير وسائل التعامل معهم ، وأول هذه الوسائل معرفة اللغة .

ولم يغفل النبي - صلى الله عليه وسلم - أمر المعاملات وحقوق الناس ، فكان عبد الله بن الأرقم  
والعلاء بن عتبة يكتبان بين الناس المداينات والعقود ، وكان حذيفة بن اليمان يكتب خرس النخل .

وكان معيقيب بن أبي فاطمة الدوسي يكتب مغانم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (٦٦) .  
ويظهر أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أوكل إلى بعض الصحابة مهمة التعليم في بعض  
البلدان كما هو الحال بالنسبة لمعاذ بن جبل ، حيث بعثه النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى اليمن  
بمعية أبي موسى الأشعري يعلمان الناس القرآن والسنة (٦٧) .

أما رسله وسفراؤه الذين ينقلون كتبه إلى ملوك ذلك الزمان فكانوا متخصصين كما هو حال  
دحية الكلبي رسوله إلى هرقل ، وكان أحسن الناس وجهاً ، فكان من المناسب أن يحمل تلك الرسالة  
إلى هرقل (٦٨) .

ومن المستحسن أن أشير إلى أن هناك تخصصات أخرى راعاها النبي - صلى الله عليه وسلم -  
وأراد لها أن تنمو وتتكامل ، فهذا ابن عباس - رضي الله عنه - يتخصص في تفسير القرآن وتأويله  
ليكون حبر الأمة ، وحسان بن ثابت - رضي الله عنه - يتخصص في الشعر ، وحذيفة بن اليمان في  
الفتن ، ورفيدة أول طبيبة جراحية ، وعلي بن أبي طالب في القضاء ، وفريق متخصص في الإحصاء .

فقد ثبت عن حذيفة - رضي الله عنه : قال النبي - صلى الله عليه وسلم : " اكتبوا لي من  
تلفظ بالإسلام من الناس ، فكتبنا له ألفاً وخمسمائة رجل ، فقلنا نخاف ونحن ألف وخمسمائة " .  
ويبدو أن مسألة الإحصاء كانت من الأمور المعروفة عند الصحابة فقد جاء رجل إلى  
النبي - صلى الله عليه وسلم - وقال له : كتبت في غزوة كذا وكذا (٦٩) .

إن قضية التخصص التي وضع أول لبناتها النبي - صلى الله عليه وسلم - هي الطريقة المثلى  
الكفيلة بتقدم الأمم في كل ناحية من نواحي الحياة العلمية والعملية على حد سواء . لأنها تستثمر  
طاقات الأمة من خلال استثمار طاقات أفرادها ، وكل ذلك عن طريق التخصص .

وإذا كان عصر السيرة قد بدأ بوضع أسس التخصص في فروع المعرفة وغيرها ، فنحن في عالم  
اليوم أحوج ما نكون إلى تنمية فروع التخصص ، لتلبي حاجة الأمة في ظل الحياة المعقدة في عالم اليوم .

### المبحث الثالث: التعليم المجاني

لقد سلك النبي - صلى الله عليه وسلم - مسلكاً واضحاً منذ بداية الرسالة، وهذا المسلك يتمثل في إشاعة العلم بين الناس أجمعين، وجعله من قبيل الواجب، ويتمثل هذا الأمر في أحد خطبه حين قال: "ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم ولا يعظونهم ولا يأمرونهم ولا ينهونهم، وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتعظون، والله ليعلمن قوم جيرانهم وليتعلمن قوم من جيرانهم، أو لأعاجلنهم العقوبة في الدنيا" (٧٠).

فهذا التوجيه النبوي يشير وبوضوح إلى بذل العلم للناس، وبدون مقابل من مال أو عطاء بل وحتى الهدية.

يقول عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - حين كان يعلم القرآن: أهدى إلي رجل من المتعلمين قوساً، فذكرت ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: "إن أخذتها فخذ بها قوساً من نار" (٧١).

إن هذه السياسة التي تكفل التعليم لجميع أفراد الأمة بدون مقابل، بل وتجعل إشاعة العلم من الواجبات المرعية، يقول أبو هريرة - رضي الله عنه - (٧٢): "إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة، ولولا آيتان من كتاب الله ما حدثت حديثاً، ثم يتلوا ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (٧٣).

إن التعليم المجاني الذي تتباهي به اليوم بعض الأمم والشعوب، إنما هو منهج سلفي قديم تعود جذوره إلى عهد السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وقد سارت الأمة الإسلامية لعقود طويلة على هذا المنهج حتى أصبح عرفاً سائداً في الأوساط العلمية.

ونص بعض الأمة على عدم قبول رواية من أخذ على التحديث أجراً، منهم الإمام أحمد، وإسحاق بن راهوية، وأبو حاتم الرازي.

وأفتى الشيخ أبو إسحاق الشيرازي بجوازها لمن امتنع عليه الكسب لعياله بسبب التحديث (٧٤). لقد يسر الإسلام التعليم للناس، وورغبتهم في أن يتعلموا مجاناً حتى لا يكون الفقر عقبة تحول بينهم وبين تحصيل العلم، ولو لم يكن التعليم مجاناً لما وجدنا ذكراً لأبي هريرة - رضي الله عنه - لأنه كان فقيراً وغيره كثيرون من أهل الصفة وغيرهم.

بل الأيام أثبتت أن الفقراء والأيتام والمعدمين هم النواغيع على الأغلب في شتى فروع المعرفة.

## المبحث الرابع: كفاية المتعلمين

لقد أشرت في المبحث السابق إلى أن الإسلام يسرّ التعليم للناس بالمجان، أقول لم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل تكفل النبي - صلى الله عليه وسلم - بإعاشة المتعلمين والإنفاق عليهم. يتضح ذلك في عدد من المواقف والتصرفات التي ترسم معلماً واضحاً في هذه المسألة. فالقراء كانوا يقرؤون ويتدارسون بالليل والنهار، يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد، ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصفة والفقراء<sup>(٧٥)</sup>. وكثيراً ما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يوزع أهل الصفة على المهاجرين والأنصار، وفي مرة من المرات قال: "من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، وانطلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بنفسه بعشرة"<sup>(٧٦)</sup>.

وكان عبادة بن الصامت يتكفل بثمانين من أهل الصفة يعيشهم<sup>(٧٧)</sup>. ولم يكن هذا الإنفاق وهذه الكفاية منة أو مجاملة بقدر ما كانت قياماً بالواجب، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - ينمي هذا الإحساس عند الصحابة. ففي إحدى المرات دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبیده عصا، وقد علق رجل قنا حشفاً، فطعن بالعصا في ذلك القنوء، وقال: لو شاء رب هذه الصدقة تصدق بأطيب منها"، وقال: "إن رب هذه الصدقة يأكل الحشف يوم القيامة"<sup>(٧٨)</sup>. بل إن النبي - صلى الله عليه وسلم - أمر من كل جاذ عشرة أوسق من التمر بقنو يعلق في المسجد للمساكين<sup>(٧٩)</sup>.

ونتيجة لهذا التوجيه النبوي يبادر محمد بن مسلمة ويقترح بأن تفرق أضياف الإسلام في دور الأنصار، وأن يجعل في كل حائط قنوء، وفعلاً فقد قام معاذ بن جبل بوضع حبل بين الساريتين ليجعل الإقناء على الحبل<sup>(٨٠)</sup>.

ولم يكن من شأن الوافدين الذين يفدون على المدينة ليتعلموا العلم والإيمان بأقل عناية من أهل الصفة، فقد جاء وفد عبد القيس إلى المدينة، وحلوا أضيافاً على أهلها. ومن عناية النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - ورعايته لهم، أن سألهم عن أحوالهم بقوله: "كيف رأيتم كرامة إخوانكم لكم وضيافتهم إياكم؟ قالوا: خير إخوان، ألأنوا فراشنا وأطابونا مطعمنا، وباتوا وأصبحوا يعلموننا كتاب ربنا وسنة نبينا - صلى الله عليه وسلم -، فأعجب النبي - صلى الله عليه وسلم - وفرح بها، ثم أقبل علينا رجلاً رجلاً يعرضنا على ما تعلمنا وعلمنا"<sup>(٨١)</sup>.

فهذا النص يبرهن وبوضوح عمق المسؤولية على حواضر العالم الإسلامي اليوم بالقيام بدورها في رعاية الوافدين إليها من أهل الإسلام ليتعلموا كما تعلم وفد عبد القيس وغيرهم من الوافدين في المدينة ورجعوا إلى أهليهم ليؤدوا دورهم.

وقد شملت كفالة التعليم حتى العبيد، فهذا إبراهيم بن جابر - كان عبداً لخراشة الجعفي نزل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - من حصن الطائف في جملة من نزل من عبيدهم أيام حصارهم فأعتقه ودفعه إلى أسيد بن حضير وأمره أن يمرّنه ويعلمه (٨٢).

كما دفع النبي - صلى الله عليه وسلم - الأزرق بن عقبة أبو عقبة الثقفي من عبيد كلداء إلى خالد بن سعيد بن العاص ليمرّنه ويعلمه (٨٣).

ومن رعاية النبي - صلى الله عليه وسلم - لطلبة العلم، أنه كان إذا أتته صدقة بعثها إليهم ولم يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها، وكان عليه أفضل الصلاة والسلام يمرّ عليهم ويجالسهم ويعلمهم بل ويلطفهم كما حدث لأبي هريرة - رضي الله عنه - عندما أهدى للنبي - صلى الله عليه وسلم - قدحاً من لبن، وكان أبو هريرة جائعاً ذلك اليوم، وقد حل ضيفاً على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - إحق إلى أهل الصفة فادعهم لي، يقول أبو هريرة: فسأني فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة؟ كنت أحق أنا أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها، فإذا جاء أمرني فكنت أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن؟

ولم يكن من طاعة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بد، فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم، وأخذوا مجالسهم في البيت.

قال: يا أبا هريرة.

قلت: لبيك يا رسول الله.

قال: خذ فأعطهم.

قال: فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد القدح حتى انتهيت إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وقد روى القوم كلهم، فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إليّ فتبسم وقال: يا أبا هريرة.

قلت: لبيك يا رسول الله.

قال: بقيت أنا وأنت.

قلت: صدقت يا رسول الله.

قال: أقعد فاشرب، فقعدت فشربت، فقال: اشرب، فشربت، فما زال يقول لي اشرب حتى قلت: لا

والذي بعثك بالحق، ما أجد له مسلكاً.

قال: فأرني، فأعطيته القدح، فحمد الله وسمى وشرب الفضلة (٨٤)..

هذه بعض الإشارات التي تدل على كفاءة المعلمين والإحسان إليهم والرفق بهم في عصر السيرة، فما أحوجنا اليوم إلى مزيد من رعاية طلاب العلم والمعرفة ليتفرغوا لتحصيل العلوم والمعارف للنهوض بآمتهم نحو التقدم والازدهار.

#### المبحث الخامس: تعليم النساء

لم يكن الإسلام ليدع أمر المرأة على ما كانت عليه في الجاهلية، خاضعة لتصورات ذلك المجتمع الذي يجعل المرأة مصدراً للعار والمهانة وسوء السمعة، وما عبر عنه القرآن الكريم عن تلك الحالة لهو أصدق وصف حينما قال: ﴿وَإِنَّا بَشَرٌ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ، يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (٨٥).

لقد جاء الإسلام ليبنى حضارة، ولا يمكن أن تبني حضارة بجناح واحد، كحال الطائر الذي لا يطير إلا بجناحين.

ولذلك صحح الإسلام ذلك المفهوم، وتلك التصورات حينما جعل الميزان هو التقوى والعمل الصالح لا غير، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٨٦).

وعلى هذا الأساس بدأ النبي - صلى الله عليه وسلم - يرسم منهجاً واضحاً للارتقاء بنصف المجتمع الذي هدرته الجاهلية، فبدأ يوصي بالمرأة فقال:

"استوصوا بالنساء خيراً" (٨٧)، وقال: "لا يفرك مؤمن مؤمنة" (٨٨)، وقال: "خياركم خياركم

لنسائه" (٨٩).

ومن باب آخر جعلها عنصراً فعالاً في المجتمع، حينما حملها المسؤولية، شأنها في ذلك شأن الرجل حينما وزع المسؤولية على دوائر المجتمع بقوله: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والأمير راع والرجل راع على أهل بيته والمرأة راعية في بيت زوجها وولده، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته" (٩٠).

وهذه المسؤولية تحتاج إلى علم ومعرفة إضافة إلى التكاليف الشرعية الأخرى، فخطاب الله

عز وجل - وأوامر رسوله - صلى الله عليه وسلم - موجهة إلى الرجل والمرأة على حد سواء.

ولقيام المرأة بتلك المسؤولية لا بد أن تأخذ نصيبها من التعليم ففتح النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - طرق التعليم ومهد لها السبل لتحصيله.

فبدأت المرأة ترتاد المساجد لأداء الصلاة وسماع المواعظ والخطب بأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - حين قال: "إذا استأذنت المرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها" (٩١).

وقوله: "إذا استأذنتكم نساؤكم بالليل إلى المسجد فأذنوا لهن" (٩٢).

وقال: "لا تمنعوا إماء الله مساجد الله" (٩٣).

ومن المعلوم أن المساجد لم تكن للصلاة فقط وإنما كانت مصدراً لتلقي العلوم والمعارف وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - مصدراً لذلك الإشعاع.

ولم يتوقف الأمر عند المساجد فقط، وإنما أمر النساء العواتق وذوات الخدور حتى الحيض منهن ليشهدن الخير ودعوة المسلمين، وذلك يوم العيد (٩٤).

وربما خصهن بالموعظة والتذكير، وأمرهن بالصدقة (٩٥).

ويحكي ابن عباس - رضي الله عنه - فيقول: فصلى ثم خطب فأتى النساء ومعه بلال فوعظهن وذكرهن وأمرهن بالصدقة فرأيتهن يهوين بأيديهن يقذفنه في ثوب بلال، ثم هو وبلال إلى بيته (٩٦).

وهذه الصورة تدل وبدون شك على التحول الكبير في المجتمع وعلى مدى الإيجابية، كل ذلك بسبب اكتساب العلم وسماع المواعظ.

وسأل ابن جريج عطاء قال قلت: أترى حقاً على الإمام ذلك ويذكرهن؟ قال إنه لحق عليهم، ومالهم لا يفعلونه؟ (٩٧).

وعنون الإمام البخاري - رحمه الله - باب صلاة النساء مع الرجال في الكسوف (٩٨).

فكان لهذه المشاركة أثرها في التحصيل والسماع وتحمل العلم.

ولم يتوقف الأمر عند المناسبات العامة وحضور الجمع والجماعات وسماع الوعظ، بل جعل النبي - صلى الله عليه وسلم - لهن يوماً خاصاً بهن، وكان ذلك تلبية لطلبهن كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: "قالت النساء للنبي - صلى الله عليه وسلم: غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوماً من نفسك، فوعدهن يوم لقيهن فيه، فوعظهن وأمرهن" (٩٩).

ويبدو أن الدرس استمر حتى وفاته - صلى الله عليه وسلم - لأنه كان إذا بدأ بعمل داوم عليه، ولم تشر المصادر هل كان هذا كل شهر أم كل أسبوع، والذي يبدو لي أنه كل أسبوع والله أعلم.

وهذا تحول آخر فبعدما ذاقت النشاء طعم العلم، وأدركن منفعتها، بدأت المنافسة مع الرجال والمطالبة بالمزيد، بل ودروس تخصصية، وقد تم لهن ذلك.

وقد أفرز هذا النشاط العلمي في محيط النساء، مهارة أخرى، ألا وهي مهارة الحوار والمناقشة، فهذه عائشة أم المؤمنين لا تسمع شيئاً من النبي - صلى الله عليه وسلم - لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه، يشهد لها بذلك ابن أبي مليكة أحد التابعين (١٠٠).

وقد ترجم الإمام البخاري - رحمه الله تعالى - لذلك باباً بعنوان "من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه، واستدل بقول النبي صلى الله عليه وسلم: "من حوسب غذب".

قالت عائشة: فقلت: أو ليس يقول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ قالت فقال: "إنما ذلك العرض، لكن من نوقش الحساب يهلك" (١٠١).

يقول الحافظ ابن حجر (١٠٢): وفي الحديث ما كان عند عائشة من الحرص على تفهم معاني الحديث، وأن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يكن يتضجر من المراجعة في العلم، وفيه جواز المناظرة ومقابلة السنة بالكتاب.

وقد وقع مثل ذلك لحفصة أم المؤمنين في مراجعة النبي صلى الله عليه وسلم (١٠٣)، إن هذا الجو الصحي الذي هيأه النبي - صلى الله عليه وسلم - للمرأة كي تأخذ حظها من العلم كان كفيلاً بأن تتصدر الكثير من النساء في مجالات متنوعة من العلوم والمعارف، فهذه عائشة رضي الله عنها هي الرابعة من بين الرجال المكثرين من حديث النبي - صلى الله عليه وسلم -، حيث روت ألفين ومائتين وعشرة أحاديث (١٠٤).

بل وعدت سابعة سبعة من الصحابة هم الأكثر فتوى على الإطلاق، ولسعة علمها ونبوغها استدركت على بعض الصحابة في الرواية والفتوى (١٠٥).

وقد تعرضت بالنقد في بعض الأحيان لطريقة الأداء العلمي، كما حصل في نقدها لأبي هريرة - رضي الله عنه - في سرعة أدائه للحديث، وقولها: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليحدث الحديث لو شاء العاد أن يحصيه لأحصاه (١٠٦).

هذا ولم يكن الصحابة ليجدوا أدنى حرج في قبول النقد، وكانوا يعتبرونه نصحاً في الدين، ولذلك قبلوه وبنوا عليه رضي الله عنهم.

ولقد بثت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها علمها مقروناً بالتثبث والفهم والرعاية التامة لمن تعلمه، فهذه عمرة بنت عبدالرحمن الأنصارية النجارية المدنية الفقيهة. كانت تربية عائشة

وتلميذتها كما يصفها الإمام الذهبي رحمه الله (١٠٧).

وهذا الإمام الزهري يسأل القاسم بن محمد عن عالم يدلّه عليه، فقال له: "يا غلام، أراك

تحرص على طلب العلم، أفلا أدلك على وعائه؟

قلت: بلى.

قال: عليك بعمرة، فإنها كانت في حجرة عائشة.

قال: فأتيتها فوجدتها بحرّاً لا ينزف (١٠٨).

وغير عمرة كثيرات تتلمذن وتحملن الرواية والفقّه والفهم عن أم المؤمنين - رضي الله عنها - وقد حظيت نساء أخريات بالنبوغ كذلك، فمن أمهات المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب، لها رواية عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وتحمل عنها أخوها عبد الله، وجمع من الصحابة والتابعين (١٠٩). وميمونة بنت الحارث أيضاً، صاحبة الرواية والمواظب (١١٠). وزينب بنت جحش كذلك، لها رواية، وكانت أطول أمهات المؤمنين يداً في الصدقة (١١١). وسودة بنت زمعة، لها رواية وقد أثنت عليها أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها (١١٢). ورملة بنت أبي سفيان، روت أحاديث كثيرة، ولها أداء معروف (١١٣).

ولا تقل أم سلمة عن أخواتها أمهات المؤمنين رواية ودراية وفهماً للأمر العظام، وكانت أهلاً لأن تستشار، فقد استشارها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حينما تباطأ أصحابه في تنفيذ أمره لهم بالحلّق والتقصير وذبح الهدي بعدما أمضى الصلح مع قريش، فكان رأيها أن يبدأ بنفسه أولاً. فأخذ عليه أفضل الصلاة والسلام برأيها، فحلّق وذبح، فعندما رآه الصحابة - رضوان الله عنهم - تدافعوا وصنعوا مثلما صنع (١١٤).

وكانت - رضي الله عنها - موصوفة بالجمال البارِع، والعقل البالغ والرأي الصائب، وما يدل على وفور عقلها وصواب رأيها حادث صلح الحديبية (١١٥).

إن هذا الموقف وغيره من المواقف لأمهات المؤمنين، لا يمكن أن يأتي من فراغ، بل سبقه تعلم واكتساب معرفة وتربية على يد النبي - صلى الله عليه وسلم - وهديه، ولقد برعت أم سلمة - رضي الله عنها - في استنباط قاعدة مهمة من قواعد التربية، ألا وهي قاعدة القدوة وأثرها في الاتباع، فرضي الله عن الجميع.

وصفية بنت حُيي بن أخطب أم المؤمنين، لا تُنسى في هذا الصدد، فإن لها رواية، وتحمل

الناس الحديث عنها (١١٦).

هذا هو بيت النبوة، وهاهن أمهات المؤمنين، زوجات خاتم المرسلين عالمات فقيهاً  
مربيات زاهدات، يصدر عنهن كل خير ومعروف، فليت زوجات الذوات يصدر عنهن مثلما صدر عن  
أمهات المؤمنين ليقتدى بهن في تحمل العلم وأدائه.

هذا ولم يقتصر الأمر على أمهات المؤمنين، فغير أمهات المؤمنين نساء كثيرات برعن بل  
وساهمن في النشاط العلمي في عصر النبوة، فهذه الشفاء التي قال لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم  
- علمي حفصة رقية النملة كما علمتها الكتابة (١١٧).

ولابد من الإشارة إلى واحدة من الفاضلات، ألا وهي أم الدرداء - رضي الله عنها - والتي  
يصفها الذهبي بالعالمة الفقيهة، روت علماً جماً عن زوجها أبي الدرداء، وعرضت القرآن وهي صغيرة  
عليه واشتهرت بالعلم والعمل والزهد وروى عنها الكثير من الرجال، وبلغ أمرها أنها كانت تنصدر  
لتعليم القرآن حيث تجلس في حلق القراءة (١١٨).

وقد كانت زينب الثقفية امرأة عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - حريصة على السؤال،  
فقد سألت زوجها عن الصدقة فوجهها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فانطلقت إليه وإذا  
بامرأة من الأنصار على بابها سؤال زينب، فخرج بلال فأخبرنه بالسؤال، وطلبتا عدم ذكر  
أسمائهن، لكن النبي - صلى الله عليه وسلم - المعلم سأله فقال له: امرأة من الأنصار وزينب، قال:  
أي الزيناب هي؟ فذكر له أنها امرأة عبدالله بن مسعود، وأجابهن (١١٩).

ولعل أسماء بنت السكن بن يزيد الأنصارية لا تقل حرصاً، فهي من ذوات العقل والدين،  
وقد روت عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولها قصة تدل على وفور عقلها وحسن أدبها، ذلك أنها  
أنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت إني رسول من ورائي جماعة من نساء المسلمين كلهن  
يقلن بقولي وعلى مثل رأيي: إن الله بعثك إلى الرجال والنساء، فآمننا بك واتبعناك، ونحن معشر  
النساء مقصورات مخدرات قواعد بيوت ومواقع شهوات الرجال، وحاملات أولادهم، وإن الرجال  
فضلوا بالجماعات وشهود الجنائز والجهاد، وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم وربينا أولادهم،  
أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله، فالتفت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بوجهه إلى أصحابه  
فقال: هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينها من هذه؟

فقالوا: بلى والله يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: انصرفي يا أسماء  
وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لأوامره يعدل  
كل ما ذكرت للرجال، فانصرفت أسماء وهي تهلل وتكبر استبشاراً بما قاله رسول الله - صلى الله  
عليه وسلم (١٢٠).

ومن هذه القصة ندرك أن المرأة في عصر النبوة أصبحت لها شأن، فهي تريد أن تعرف موقعها في الحياة وقد أدركت أن لها دوراً يجب أن تؤديه، وغاية تسعى لبلوغها، وكل ذلك لم يكن ليحصل لولا الرعاية النبوية، والتعليم المتدرج الذي بوأها مكانة رفيعة أسهمت في الحياة العلمية، بل وأثرت فيها باجتهاد، واستدراك كما كان من عائشة - رضي الله عنها - فهي راوية ضابطة لما تحكيه وترويه، وفقهية تحسن فن الاستنباط، وناقدة فذة تعرف أصول النقد وحدوده.

وصور أخرى مر ذكرها، إنما هي مرآة تري كيف رعى الإسلام المرأة في عصر النبوة، تلك المرأة التي وجدت من يهتم بأمرها، ويضع البرامج لتعليمها وتربيتها، لتكون عنصراً فعالاً في البناء والتنمية، وقد حصل كل ذلك على يد محمد - صلى الله عليه وسلم.

وما أحوجنا اليوم إلى مراجعة شاملة لقضية المرأة، لتعود كما كانت، عنصراً فعالاً يصدر عنها كل خير وفضيلة.

#### المبحث السادس: تعليم الأطفال

لم يكن الأطفال بمعزل عن الرعاية والتربية والتعليم في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - وذلك لأن الطفل لا يبقى طفلاً، بل يصبح رجلاً، وقد أثبتت الدراسات التربوية الحديثة أن التعلم بالصغر أمضى وأكثر أثراً من التعلم عند الكبر، والمقولة: التعلم في الصغر كالنقش على الحجر، صحيحة من حيث الواقع.

لقد حظي الأطفال كدائرة من دوائر المجتمع بالتعلم والرعاية والتوجيه على يد النبي - صلى الله عليه وسلم - بصور شتى، وقبل البدء في بيان ذلك أود الإشارة إلى بعض توجيهاته - صلى الله عليه وسلم - بالوصية بالنشء تعليمياً وتربياً وتوجيهياً، فمن ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم - "مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع" (١٢١).

وقوله: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيته... الحديث" (١٢٢).

وفي الحديث قوله: "ورجل كانت عنده أمة فأدبها، فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوجها، فله أجران" (١٢٣).

أما عن خطته - صلى الله عليه وسلم - في تعليم الصغار، فبحسب الظروف والأحوال، وكثيراً ما كان يمهّد لقضية التعليم بالمدارة، وهذا أمر مطلوب لترغيب الأطفال في العلم، ولا ينفروا منه، فمن ذلك قول أنس رضي الله عنه: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - ليخالطنا حتى يقول

لأخ لي صغير: يا أبا عمير، ما فعل الصغير؟ (١٢٤)

وهذه أم خالد بنت خالد بن سعيد، تحكي قصة مجيئها إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وهي صبية صغيرة، وكانت عليها ملابس جديدة، فأخذت تلعب بخاتم النبوة، فزجرها أبوها، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: دعها ثم دعا لها، وعنون الإمام البخاري لذلك باباً فقال "باب من ترك صبية غيره حتى تلعب به، أو قبلها أو مازحها" (١٢٥).

وكثيراً ما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقبل الأولاد ويشمهم، وقد فعل هذا مع إبراهيم ولده عليه أفضل الصلاة والسلام (١٢٦).

وتحكي هائشة - رضي الله عنها - صورة من صور رعاية النبي - صلى الله عليه وسلم - فتقول: وضع صبياً في حجره يحنكه فبال عليه، فدعا بماء فأتبعه (١٢٧). قال الحافظ ابن حجر: ويستفاد منه الرفق بالأطفال، والصبر على ما يحدث منهم، وعدم مؤاخذتهم لعدم تكليفهم (١٢٨).

وقد وضع الحسن والحسين على فخذه ودعا لهما (١٢٩)، ومرة على عاتقه (١٣٠). وقد عانق الحسن - رضي الله عنه - وصعد به المنبر والناس ينظرون إليه في المسجد ويقول: "إن هذا ابني سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين" (١٣١).

إن هذه الداراة ليست للتسلية أو الترويح فقط، وإنما هي ترسيخ لوشيجة المحبة والرابطة بين الناشئ الصغير وبين من يعلمه ويربّيه.

لقد كان لتعليم النبي - صلى الله عليه وسلم - الكثير من الصبية أثره في الحياة العلمية، على أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يركز على الفطن اللقن أكثر من غيره، كما هو حال ابن عباس - رضي الله عنه - فعندما لمح النبي - صلى الله عليه وسلم - فيه فطنة وذكاء، حرص على تعليمه وتربيته وخصه بمزيد من العلم.

وفطنة ابن عباس - رضي الله عنه - كانت مبكرة حالة صباه، فنراه يحكي عن نفسه فيقول: "دخل النبي - صلى الله عليه وسلم - الخلاء، فوضعت له وضوءاً فقال من صنع هذا، فأخبر فقال: اللهم فقه في الدين" (١٣٢).

ومناسبة الدعاء هنا لابن عباس - رضي الله عنه - بالتفقه على وضعه الماء من جهة أنه تردد بين ثلاثة أمور: إما أن يدخل إليه بالماء في الخلاء، أو يضعه على الباب ليتناوله عن قرب، أو لا يفعل شيئاً. فرأى - رضي الله عنه - الثاني أوفق، لأن الأول تعرض للاطلاع، والثالث يستدعي مشقة في طلب الماء، والثاني أسهلها. ففعله يدل على ذكائه فناسب أن يدعى له بالتفقه في الدين ليحصل به النفع، وكذا كان (١٣٣).

إن استثمار طاقات الأطفال والانتباه إلى أفعالهم، لجدير بالرعاية والتنمية والتشجيع، ليعم النفع ويحصل الخير كما كان من شأن ابن عباس رضي الله عنه ورعاية النبي - صلى الله عليه وسلم - له، فكم من طاقات كثير من الأطفال تهدر ولا يلتفت إليها أحد، فتموت في مهدها وذلك الظلم بعينه.

وحادثة أخرى ترسخ القناعة بفهم ابن عباس المبكر يقول: "بت عند خالتي ميمونة بنت الحارث زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - وكان عليه الصلاة والسلام عندها في ليلتها، فصلى النبي - صلى الله عليه وسلم - العشاء، ثم جاء إلى منزله فصلى أربع ركعات ثم نام، ثم قام وقال: نام الغليم - أو كلمة تشبهها - ثم قام فقامت عن يساره، فجعلني عن يمينه ... الحديث" (١٣٤).

وذلك تعليم منه - صلى الله عليه وسلم - ورعاية له، ولعل مجيئه أيام منى ركباً على حمار أتان ومروره بين يدي بعض الصف ودخوله في الصلاة (١٣٥) دلالة أخرى على قوة فهمه ورسوخ علمه. إن هذه الفطنة، وهذا الفهم وجد اهتماماً بالغاً من النبي المعلم - صلى الله عليه وسلم - فلم يدع فرصة إلا ولقنه علماً، وألقى إليه فهماً.

يقول ابن عباس - رضي الله عنه - وهو يحكي حاله أيام الصبا ووقت تحمل العلم وتحصيله: "كنت خلف النبي - صلى الله عليه وسلم - يوماً فقال: يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء، قد كتبه الله لك، وإن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك، لم يضروك إلا بشيء، قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف" (١٣٦).

وهذا سمرة بن جندب - رضي الله عنه - يحدثنا عن تحصيله فيقول: "كنت غلاماً، فكنت أحفظ عنه، فما يمنعني من القول إلا أن هناك رجالاً أسن مني، وقد صليت وراء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على امرأة ماتت في نفاسها، فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الصلاة وسطها" (١٣٧). ولم يكن تعليمه عليه الصلاة والسلام التلقين فقط بل تربيته وتصحيح أخطائهم من خلال المعاشة اليومية، فهذا الحسن بن علي - رضي الله عنه - يضع ثمرة من تمرات الصدقة في فيه، فيقول له النبي - صلى الله عليه وسلم: كخ، كخ، كخ، ارم بها، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة" (١٣٨).

وقصة عمر بن أبي سلمة ربيب النبي - صلى الله عليه وسلم - يحكي صورة أخرى من صور التعليم العلمي فيقول: كنت غلاماً في حجر رسول الله - صلى الله عليه وسلم، وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم: "يا غلام سم الله تعالى، وكل بيمينك وكل مما يليك"، فما زالت تلك طعنتي بعد" (١٣٩).

لقد وعى الأطفال التوجيه وأتقنوا الرواية، لأن المعلم بارع عليه أفضل الصلاة والسلام، وقبل ذلك كله، عملوا بما تحمّلوه من علم الرواية، ولم يكن صغر السن ليحول بينهم وبين الحفظ والإتقان، فهذا محمود بن الربيع يقول: "عقلت من النبي - صلى الله عليه وسلم - مجّة مجّها في وجهي وأنا ابن خمس سنين من دلو" (١٤٠).

قال الحافظ ابن حجر: وفي الحديث جواز إحضار الصبيان مجالس الحديث، وزيارة الإمام أصحابه في دورهم، ومداعبته صبيانهم، وكثيراً ما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يهيئ للأطفال الجو الكفيل بتكون شخصيتهم.

فمرة أتى بشراب، فشرب منه النبي - صلى الله عليه وسلم - وعن يمينه غلام، وعن يساره أشياخ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟ فقال الغلام: لا والله، لا أؤثر بنصيبك منك أحداً، فقتله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في يده (١٤١).

إن هذا الأسلوب في مثل هذه الصور هو الذي يصنع رجال الغد وعلماء المستقبل فتأمل كم تنتفع الأمة بهذا المنهج النبوي؟

ولا ننسى أن نشير إلى الصحابي الجليل أنس بن مالك، خادم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والذي تتلمذ على يديه، فاغترف علماً غزيراً وأدباً جماً، فأصبح من الكثيرين لرواية الحديث، وقد قدم على النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو في سن العاشرة، وخرج معه إلى غزوة بدر يخدمه (١٤٢).

لقد حظي كل من عاشر النبي - صلى الله عليه وسلم - بكرمه وتعليمه، فخادمه الذي يخدمه يصبح من كبار المحدثين الكثيرين عنه الحديث، فذاك أبي وأمي يا رسول الله. ولعل حالة أنس وغيره توظف فينا الغيرة للاهتمام بمن نعول عليه من الأولاد والأيتام والخدم، فربما يعيش الخادم في بيت يخدم فيه طول عمره من غير أن يتعلّم ما يحسن به أداء فرض الصلاة، وهذا تقصير كبير، والله إنها لمسؤولية جد خطيرة.

إن من يتبع أحول الغلمان والصبية من عصر السيرة يجد عجباً، فهذا عمرو بن سلمة، يحكي قصة إسلام قومه وصلاته بهم إماماً حيث يقول: "فنظروا فلم يكن أكثر قرآناً مني، لما كنت أتلقى من الركبان، فقدموني بين أيديهم، وأنا ابن ست أو سبع سنين، وكانت عليّ بردة كنت إذا سجدت تقلصت عني، فقالت امرأة من الحي: ألا تغطون عنا أست قارئكم، فاشترؤا فقطعوا لي قميصاً، فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص" (١٤٣).

وقد ترجم له الذهبي (١٤٤) فقال: كان يؤم قومه في حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو صبي، ومن بركة صلاة هذا الصبي، خاض العلماء وأصحاب المذاهب في صحة صلاة الصبي غير المميز، وقد صدرت آرائهم عن تلك القصة والتي بطلها عمرو بن سلمة، صاحب السنوات الست أو السبع.

فما أحرانا اليوم أن نسلك ذلك السلوك الذي سلكه نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - في تعليم الأطفال، وتربيتهم لينهلوا مما نهل منه أولئك، بدل هذا الغناء الذي يهدم الأخلاق والقيم، ولا يصدر عنه إلا كل سوء.

لقد آن الأوان لإعادة ترتيب الأولويات، وأن نضع مقالة أم الدرداء العالمة الفقيهة، نصب أعيننا عندما خاطبت تلاميذها قائلة: "يا أبنائي تعلموا العلم صغارا واعملوا به كبارا" (١٤٥).

إن النظرة إلى الصغار يجب أن تتغير، وقد حان الوقت لأن نتعامل مع الطفل تعاملاً ينمي فيه الخير ويهيج في نفسه الشره في طلب العلم والمنافسة فيه.

وما يدرينا، فلعل الله - عز وجل - يجري الخير على أيديهم، وفي قصة الغلام التي أشاد بها القرآن الكريم في سورة البروج، وقصها النبي - صلى الله عليه وسلم - على أصحابه (١٤٦)، لخير مثال على ذلك، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

لقد ظلت الأمة الإسلامية قروناً طويلة تأخذ بهنج صدر الإسلام في أمر التربية والتعليم، وعلى وجه الخصوص الاعتناء بالصبية، وكتاتيب تحفيظ القرآن، وحلقات الربيين خير شاهد على ذلك.

فما أحوج الأمة اليوم لإحياء هذه السنة، ليرضع أبناؤنا العلم منذ الصغر، ويتربوا على القيم، وفي ذلك صيانة لأنفسهم ونفعاً لأمتهم.

#### المبحث السابع: البعثات الخارجية

لم يغفل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن إشاعة العلم وتبليغه إلى الأمصار المجاورة، فقد عمد ومنذ وقت مبكر إلى إرسال البعثات والمعلمين إلى القرى والبلاد المتاخمة للمدينة المنورة.

وأول معلم بعثه النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة هو مصعب بن عمير، وذلك ليعلم الناس (١٤٧)، ثم بعث بعده ابن أم مكتوم، يقول البراء: أول من قدم علينا مصعب بن عمير، ثم أتانا عمرو بن أم مكتوم، فجعلنا يقرءان الناس القرآن (١٤٨).

ومن المدينة بعث معاذ بن جبل إلى اليمن، وخرج - صلى الله عليه وسلم - يودعه ويوصيه، ومعاذ راكب ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يمشي تحت راحلته، فلما فرغ قال: "يا معاذ، إنك عسى ألا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمر بمسجدي وقبري" فبكى معاذ جزعاً لفراق

الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال: "لا تبكي يا معاذ" (١٤٩)، وربما كان يرافقه أبو موسى الأشعري ووصية النبي - صلى الله عليه وسلم - لهما معروفة وهي: "يسرا ولا تعسرا، علما ولا تنفرا" (١٥٠). وتشير رواية أخرى إلى أن النبي - صلى الله عليه وسلم - بعث ثلاثة آخرين معهما وهم: خالد بن الوليد، وطاهر بن أهالة، وعكاشة بن ثور (١٥١)، كما ويبدو أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كلف معاذاً بأداء العلم في أكثر من مصر، فقد استخلفه بعد فتح مكة على أهلها يقرئهم ويفقههم (١٥٢). وهذا التكليف المستمر من النبي - صلى الله عليه وسلم - لمعاذ - رضي الله عنه - يدل على تمكن معاذ من العلم وبراعته في الأداء كذلك.

واستمر معاذ على هذا طيلة عمره، فقد كان عمر - رضي الله عنه - يقول حينما خرج معاذ إلى الشام: لقد أخل خروجي بالمدينة وأهلها في الفقه، وفيما كان يفتيهم فيه، ولقد كنت كلمت أبا بكر أن يحبسني لحاجة الناس إليه، فأبى علي وقال: رجل أراد وجهاً - يعني الشهادة - فلا أحبسه (١٥٣). وكان من سياسة عمر - رضي الله عنه - وفقهه أن يحتفظ بأهل الرأي في عاصمة الإسلام المدينة المنورة لمشاورتهم في أمور الدولة، والأقضية وغيرها من السياسات، وهذا صواب منه رضي الله عنه. ومن الذين أوفدهم النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى اليمن: علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال بريدة: بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعثين إلى اليمن على أحدهما علي بن أبي طالب (١٥٤). كما بعث عمرو بن العاص إلى البحرين كذلك (١٥٥).

وأحياناً يستجيب النبي - صلى الله عليه وسلم - لرغبات بعض الأمصار، فيمدهم بمن يعلمهم ويفقههم، وقد بعث مرة ستة من أصحابه إلى عضل القارة بناءً على طلب أهلها، وقصتهم معروفة (١٥٦).

وفي بعض الأحيان يحصل العكس، حيث يفد الناس إلى المدينة ليتحملوا العلم ويرجعوا إلى بلدانهم كما حصل لوأفده عبد قيس، حين حملوا العلم والإيمان ورجعوا به إلى قومهم (١٥٧). لقد بقيت سنة البعوث من حواضر الإسلام، إلى النواحي والأطراف، حية في الأمة، أخذ بها اللاحق عن السابق، فقد بعث عمر بن الخطاب بعبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - إلى أهل الكوفة ليعلمهم ويفقههم، وقال مقولته المشهورة: يا أهل العراق، لقد آثرتكم بعبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - على نفسي، فخذوا منه (١٥٨).

واستمر الأمر على ذلك، وتاريخ الأمة الطويل يشهد بسنة البعوث من حواضر الإسلام إلى النواحي والأطراف. إن هذا الإدراك المبكر من النبي - صلى الله عليه وسلم - والمضي في تنفيذه ليضع

المسلمين اليوم أمام مسؤولية عظيمة تجاه أقطار كثيرة، كانت بالأمس تحيا في ظل الإسلام، واليوم ترجح كفة النصرانية في الكثير منها بفعل المبشرين.

إن إحياء هذه السنة، وبعث البعث من العلماء والفقهاء والمقتدرين، لكفيل بإذن الله تعالى بإعادة تلك البلاد إلى حظيرة الإسلام من جديد.

### المبحث الثامن: إرسال الكتب والرسائل

الكتاب من وسائل أداء العلم وتبليغه، كما أنه في نفس الوقت وسيلة من وسائل التحمل، ولقد باشر النبي - صلى الله عليه وسلم - إرسال الرسائل والكتب إلى ملوك الأرض في ذلك الزمان يبلغهم رسالة الإسلام.

فقد كتب إلى قيصر عظيم الروم رسالة أرسلها مع دحية الكلبي، فسلمها لهرقل في بيت المقدس، وكاد أن يسلم من أثر تلك الرسالة. أما نص الرسالة فهو:

”بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد:

فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (١٥٩).

ويحكي أبو سفيان وهو شاهد عيان، وقد كان آنذاك في الشام، وحضر مجلس هرقل عندما قرئت عليه رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، ورأى تأثير هرقل بتلك الرسالة، يقول أبو سفيان: إن أول يوم رعبت فيه من محمد - صلى الله عليه وسلم - ليوم قال قيصر في ملكه وسلطانه وحضرته ما قال، وهو يعني قوله: ”لو أعلم أنني أستطيع الخلوص إليه، لمشيت إليه حتى أقبل رأسه وأغسل عن قدميه“. قال أبو سفيان ولا زلت مرعوباً من محمد - صلى الله عليه وسلم - حتى أسلمت (١٦٠).

وعن مرثد بن ضبيان قال: جاءنا كتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فما وجدنا قارئاً يقرؤه علينا، حتى قرأه رجل من بني ضبيعة: ”من رسول الله إلى بكر بن وائل: أسلموا تسلموا“ (١٦١).

وكتب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل أن يموت إلى كسرى وقيصر وكل جبار (١٦٢). ومن كتبه المهمة كتابه إلى كسرى مع عبد الله بن حذافة السهمي، فلما قرأه كسرى مزقه،

فدعا عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يمزق كل ممزق، وقد حدث ذلك (١٦٣).

وقد كتب إلى أسقف الروم كتاباً يدعو فيه إلى الإسلام (١٦٤).

وكتب النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى النجاشي بأكثر من كتاب، فقد جرت بينه وبين

نبيينا محمد - صلى الله عليه وسلم - كتب ومراسلات أسلم على إثرها النجاشي (١٦٥).

وكتب إلى أسقف إيله وأهلها كذلك بكتاب (١٦٦)، وإلى الحارث بن شمر الغساني (١٦٧)،

وجبله بن الأيهم الغساني (١٦٨)، والمقوقس عظيم القبط وأجابه على الرسالة (١٦٩)، وإلى المنذر ابن

ساوى العبدى عامل كسرى على البحرين (١٧٠)، وإلى أهل هجر (١٧١)، وإلى أهل عمان

والبحرين (١٧٢)، وإلى قبيلة عبد قيس في البحرين، وقد أسلموا وقدم منهم وفد على رسول - صلى الله

عليه وسلم - ليتعلموا العلم والإيمان ويعلموه إلى قومهم (١٧٣)، وإلى أساقفة نجران (١٧٤)، وإلى أهل

مدينة الرها يدعوهم فيها إلى الإسلام (١٧٥)، وإلى أبي بكر بن وائل وقد أسلموا على إثرها (١٧٦).

ولعل هناك رسائل أخرى منها ما يتعلق بتبليغ الرسالة ومنها بأنظمة الإسلام كتبها إلى

عماله الذين أوفدهم إلى النواحي والبلدان النائية، ولا بد لنا أن ندرك أن النبي - صلى الله عليه وسلم -

قد أدى مهمة تبليغ رسالة الإسلام بجميع أوجه الأداء وبكل وسيلة ممتلئة، ومنها هذه الرسائل التي

أسهمت في البلاغ بقدر وافر، ومهدت لدعوة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها.

ولعل النتيجة التي نخلص إليها أنه لا يسعنا التقصير في تبليغ العلم وأدائه في عالم اليوم

الذي تيسرت فيه وسائل الاتصال بثتى أنواعها، لقد بذل محمد - صلى الله عليه وسلم - المتاح من

الوسائل في عصرنا لنفس الغرض.

### المبحث التاسع: الإفادة من الأمم الأخرى

لقد وضع النبي - صلى الله عليه وسلم - قاعدة ذهبية للأمة، ألا وهي: "الكلمة الحكمة

ضالة المؤمن، حيثما وجدها فهو أحق بها" (١٧٧).

فهذا التوجيه النبوي، يهيئ للمسلم الإفادة من كل خير، وأخذ العلوم والعارف من مظانها

مادامت لا تصطدم بقواعد الدين، هذا وقد أفاض القرآن الكريم في ذكر قصص الأمم الماضية خيرها

وشرها، لأخذ العبرة والعظة من ممارساتها، لأنها تجارب عاشت على وجه هذه الأرض.

ولذلك فالنبي - صلى الله عليه وسلم - وحرصاً منه على الإفادة، لم يمنع الحديث عن

بني إسرائيل بغرض الإفادة، حيث قال: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج" (١٧٨)، وكان النبي -

صلى الله عليه وسلم - يحدث عامة ليله عن بني إسرائيل، لا يقوم إلا لعظم الصلاة (١٧٩).

وفي القصص النبوي نجد الشيء الكثير الذي يدعوا إلى الاطلاع على الأقوام والأمم ومعرفة آثارهم وأعرافهم، وهذا أمر سوغه الشرع بل ونسب إليه (١٨٠). هذا ولم يقتصر الأمر على الاعتبار والإفادة من الأمم الماضية، بل والحاضرة التي عاصرها النبي - صلى الله عليه وسلم - ولم يمنع بأي حال الإفادة من الكافر المخالف للدين والمعتد، وذلك عندما أراد النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يكتب إلى الروم قيل له: إنهم لا يقرؤون كتاباً إلا أن يكون مختوماً، فاتخذ خاتماً من فضة جعله في يده ونقش فيه محمد رسول الله (١٨١).

ولعل في قصة حفر الخندق حول المدينة لمقاومة الأحزاب ومنعهم من دخولها فكرة فارسية أشار بها سلمان الفارسي على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يجد حرجاً في الأخذ بها، ولذلك عندما رأى أبو سفيان وأصحابه الخندق قالوا هذه مكيدة لم تكن العرب تعرفها (١٨٢).

وليتحقق التواصل بين المسلمين والأمم الأخرى، نجد أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أمر زيد بن ثابت بتعلم السريانية، وقد تعلمها في ستة أشهر، فكان يقرأ لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويرد عليهم إذا كتبوا (١٨٣).

وفي إفادة المسلمين من أسرى قريش في معركة بدر دلالة واضحة على أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أباح تعلم المسلم من الكافر في أمور لا تضر دينه ولا عقيدته.

ذلك أنه عليه أفضل الصلاة والسلام جعل فداء كل أسير، تعليم عشرة من صبيان المسلمين في المدينة المنورة القراءة والكتابة (١٨٤).

ولعل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يترجم لمثل هذا فيقول: "العلم ضالة المؤمن، فخذوه ولو من أيدي المشركين" (١٨٥).

هذا وقد استمر المسلمون في الإفادة من الأمم الأخرى في بعض المعارف والفنون، فمن ذلك ما قاله ابن جلجل عن ماسرجويه: "أنه كان يهوى المذهب، وقد تولى أيام عبد الملك بن مروان تفسير كتاب أهرن بن عين القس إلى العربية، ووجده عمر بن عبد العزيز في خزائن الكتب فأمر بإخراجه ووضع في مصلاه، فاستخار الله في وضعه للمسلمين للانتفاع به، فلما تم له ذلك أربعين صباحاً أخرجه إلى الناس وبثه في أيديهم" (١٨٦).

وموضوع الكتاب في الطب، ولعل هذه القصة تشير وبوضوح إلى أن الدولة قد تبنت الترجمة إلى العربية بشكل رسمي منذ وقت مبكر في تاريخ الإسلام، والذي تطور وتوسع أيام الدولة العباسية.

## المبحث العاشر: إنشاء المدارس

إن أول عمل قام به النبي - صلى الله عليه وسلم - عند وصوله المدينة هو بناء المسجد، وقصة بنائه مشهورة، حيث قال: "يا بني النجار، ثامنوني بحائطكم هذا، قالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلا من الله، فتم بناء مسجده الشريف" (١٨٧).

ومنذ تأسيس مسجده عليه أفضل الصلاة والسلام أصبح مدرسة يرتادها الصحابة لتلقي العلم، فكان أحياناً يجلس - صلى الله عليه وسلم - على المنبر والناس حوله يعلمهم أمور دينهم (١٨٨). وأحياناً يجلس ويتحلق الناس حوله، وقصة الثلاثة الذين أقبلوا على الحلقة في المسجد، فجلس اثنان وذهب الثالث، أخرجها البخاري (١٨٩).

وقد حث النبي - صلى الله عليه وسلم - على ارتياد مسجده حيث قال: "من جاء مسجدي هذا لم يأته إلا لخير يتعلمه أو يعلمه، فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله، ومن جاء لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره" (١٩٠).

وهذا ما دعا أحد الصحابة، وهو سليط - رضي الله عنه - إلى إرجاع الأرض التي أقطعه إياها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عندما قيل له: لقد نزل بعدك من القرآن كذا وكذا، وقضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في كذا وكذا، حينها انطلق إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله، إن هذه الأرض التي اقتطعتنيها قد شغلتنني عنك، فاقبلها مني، فلا حاجة لي في شيء يشغلني عنك" (١٩١).

بهذه الهمة وبهذه الروح كان الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - يحرصون على تلقي العلم.

وصورة أخرى تدل على الحرص، وهو ما كان من عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حيث يحكي حاله وقت التحصيل فيقول: كنت أنا وجاري من الأنصار في عوالي المدينة، وكنا نتناوب النزول على النبي - صلى الله عليه وسلم - ينزل يوماً، وأنزل يوماً، فإذا نزلت جئتته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك (١٩٢).

ومنهم من انقطع وفرغ نفسه لملازمته طمعاً في الإكثار من تحصيل العلم، كما هو حال أبي هريرة - رضي الله عنه - وقد تم له ذلك حيث أصبح أكثر الصحابة حفظاً للحديث (١٩٣).

ولم يقتصر الأمر على السماع من النبي - صلى الله عليه وسلم -، بل هناك حلقات مذاكرة القرآن والحديث، حيث يحكي معاوية - رضي الله عنه - واقعة وهو شاهد عيان يقول: كنت مع

النبى - صلى الله عليه وسلم - يوماً فدخل المسجد، فإذا هو يقوم في المسجد فعود فقال النبى  
- صلى الله عليه وسلم: ما يقعدكم؟

قالوا: صلينا الصلاة المكتوبة، ثم قعدنا نتذاكر كتاب الله وسنة نبىه - صلى الله عليه  
وسلم (١٩٤).

وخرج يوماً عليه الصلاة والسلام من بعض حجره، فدخل المسجد فإذا هو بحلقتين،  
إحدهما يقرؤون القرآن ويدعون الله، والأخرى يتعلمون ويعلمون، فقال النبى - صلى الله عليه وسلم:  
"كل على خير. هؤلاء يقرؤون القرآن ويدعون الله، فإن شاء أعطاهم، وهؤلاء يتعلمون ويعلمون، وإنما  
بعثت معلماً، فجلس معهم" (١٩٥).

ولعل هذه القصة تؤكد أن الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - يؤدون العلم حالة تحمله.  
إن الأداء المبكر هو نوع من المذاكرة التي ترسخ الحفظ وتنميه. إذن فمسجد النبى - صلى الله  
عليه وسلم - كان مركز إشعاع يرتاده القريب والبعيد لتحصيل العلم وتحمله، والبعض يتحمل ويؤدي  
في وقت واحد.

وإذا كان هذا هو حال المسجد النبوي فلا ننسى أول جامعة إسلامية، ألا وهي جامعة أهل  
الصفة، وكانت بجوار المسجد النبوي، وكانت هذه الجامعة مخصصة للوافدين والواردين على المدينة  
من خارجها.

وقد تميّزت هذه الجامعة بتسكين الطلاب وكفالتهم وبأمر النبى - صلى الله عليه وسلم -  
ورعايته لهم. وقد كانوا يسمون بأضياف الإسلام.

وقد كان النبى - صلى الله عليه وسلم - يقوم بتعليمهم بنفسه وبشرف على إتمامهم  
كذلك.

وكانت أمور أهل الصفة في غاية من النظام، فقد عين النبى - صلى الله عليه وسلم -  
أبا هريرة رئيساً عليهم ينوب عنهم في المهمات، وهو أشبه ما يكون اليوم بسكن الطلاب، وهذا الأمر  
يعتبر إقراراً مبكراً من قبل النبى - صلى الله عليه وسلم - لتمثيل الهيئات وأصحاب النقابات والمهن  
واتحادات الطلاب.

وربما وقع الاختيار على أبي هريرة - رضي الله عنه - لأنه منقطع لطلب العلم، دائم  
الحضور، متواجد معهم في جميع الأوقات مما يجعله عارفاً بأحوالهم وحوائجهم.

ومما ينبغى ملاحظته أن النبى - صلى الله عليه وسلم - عين لهم مدرسين يدرسونهم سوى  
ما كان - صلى الله عليه وسلم - يقوم به هو من تعليمهم، ومن هؤلاء المدرسين عبدالله بن سعيد بن

العاصم (١٩٦)، وعبادة بن الصامت (١٩٧)، وأبو ذر الغفاري (١٩٨).

إن أهم صفة لهؤلاء المتعلمين هي الزهد والقناعة والرغبة في تحصيل العلم، هذا ولم يكن أهل الصفة بالعدد اليسير، قال قتادة: بلغوا تسعمائة (١٩٩).

ومثل هذا العدد كبير جداً إذا أخذنا بعين الاعتبار ضعف الإمكانيات وقلة الموارد، لكنها الرعاية النبوية وإحساس الصحابة بمسئوليتهم تجاه أضياف الإسلام وطلبة العلم مع قناعة وأدب منقطع النظير، فقد حكى أبو هريرة قصة لها دلالتها، وهي أنهم إذا اجتمعوا على أكل تمر وأكل أحدهم تمرتين معاً قال لأصحابه: "إني قرنت فأقرنوا" لثلا ينال من التمر أكثر منهم (٢٠٠).

ويضاف إلى هذين المركزين الهامين مسجد قباء، وهو على ثلاثة أميال من المدينة المنورة، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يأتيه كل سبت ماشياً وراكباً (٢٠١).

قال ابن حجر: وفي الحديث جواز تخصيص بعض الأيام ببعض الأعمال الصالحة والمداومة على ذلك (٢٠٢).

على أن النبي - صلى الله عليه وسلم - عندما كان يزور قباء يزوره معلماً متفقداً لأحوال من لم يحضر في مسجده يوم الجمعة، وهذا هو السر في تخصيص ذلك يوم السبت (٢٠٣).  
ويذكر بعض المؤرخين أنه كان بالمدينة تسعة مساجد وربما كانت تقبوم بنفس المهمة أسوة بالمسجد النبوي (٢٠٤).

وهناك مركز بدار القراء، وتلك الدار هي دار نوفل بن مخزومة (٢٠٥)، ولعل هناك أماكن أخرى خاصة لكتابة القرآن الكريم ونسخه وتلقيح خواص الصحابة - رضي الله تعالى عنهم أجمعين - دقائق المسائل وصعابها والله تعالى أعلم.

وبعد فلعل المباحث العشرة تلقي الضوء على خطة النبي - صلى الله عليه وسلم - في نشر العلم وإذاعته من جانب لتغطي دوائر المجتمع المختلفة، ومن جانب آخر لتلبي حاجة الأمة في البناء والتنمية، لتكون راعية وموجهة لأمم الأراضي قاطبة.

وهذا ما حصل، ففي ربع قرن من الزمان، انتشر الإسلام شرقاً وغرباً، ليملا الأرض علماً وثقافتاً ونوراً، وكل ذلك يعود إلى قوة التأسيس وسلامة المنهج ودقة التخطيط الذي وضعه معلم البشرية محمد - صلى الله عليه وسلم.

## هوامش

- ١- سورة العلق، الآية: ١-٥.
- ٢- جزء من حديث أخرجه ابن ماجة في سننه المقدمة، ٨٣/١.
- ٣- أخرجه البخاري، الصحيح - كتاب الصوم - باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: لا نكتب ولا نحسب:  
١٥١/٤.
- ٤- فتح الباري: ١٥١/٤.
- ٥- فتوح البلدان: ٦٦٠.
- ٦- نفس المصدر: ٦٦٣.
- ٧- ابن ماجة - السنن - المقدمة: ٨٣/١.
- ٨- سورة العلق، الآية: ١-٥.
- ٩- البخاري - كتاب بدء الوحي - كتاب ٣: ٣٠/١.
- ١٠- سورة القلم، الآية: ١.
- ١١- سورة آل عمران، الآية: ١٨.
- ١٢- سورة التوبة، الآية: ١٢٢.
- ١٣- سورة آل عمران، الآية: ١٨٧.
- ١٤- سورة البقرة، الآيتان: ١٥٩-١٦٠.
- ١٥- أحمد، المسند: ٢٥٢/٢.
- ١٦- نفس المصدر: ٤٣٧/١، وابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله: ٣٩/١.
- ١٧- أبو داود: السنن - كتاب العلم - باب كراهية منع العلم: ٩١/١٠.
- ١٨- البخاري: الصحيح - كتاب الأنبياء - باب ما ذكر عن بني إسرائيل: ٥٧٢/٦.
- ١٩- لسان العرب: ٣٠/١١، والمعجم الوسيط: ٣١/١.
- ٢٠- سورة الجمعة، الآية: ٢.
- ٢١- ابن ماجة: السنن - المقدمة: ٨٣/١.
- ٢٢- العجلوني: كشف الخفاء ومزيل الألباس: ٢٤٤/١.
- ٢٣- البخاري: صحيح - كتاب العلم: باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا: ٢٧٢/١.
- ٢٤- ابن حجر: فتح الباري: ٢٧٢/١.
- ٢٥- البخاري: الصحيح - كتاب العلم: ٢٧٢/١.
- ٢٦- نفس المصدر، كتاب العلم: ٢٧١/١.

- ٢٧- البخاري: الصحيح - كتاب الإيمان - باب دعاؤكم إيمانكم : ٦٤/١ .
- ٢٨- البخاري: الصحيح - كتاب الإيمان - باب سؤال جبريل : ١٤٠/١ .
- ٢٩- البخاري: الصحيح - كتاب التفسير - باب إنما الخمر والميسر : ١٢٦/٨ .
- ٣٠- البخاري: الصحيح - كتاب الأدب - باب حق الضيف : ٥٤٧/١٠ - ٥٤٨ .
- ٣١- نفس المصدر: كتاب الإكراه - باب يمين الرجل : ٣٣٨/١٢ .
- ٣٢- نفس المصدر: كتاب الإكراه - باب يمين الرجل لصاحبه : ٣٣٨/١٢ .
- ٣٣- البخاري: الصحيح - كتاب النكاح - باب ﴿فَوَأَنْفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ : ٢٥٤/٩ .
- ٣٤- مسلم: كتاب الجنة وصفة تقسيمها - باب الصفات التي يعرف بها أهل الجنة وأهل النار: حديث (٦٤) .
- ٣٥- مسلم: كتاب البر والصلة والآداب - باب تحريم الظن والتجسس والتنافس ونحوها : ١٩٨٥/٤ .
- ٣٦- نفس المصدر - باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتراحمهم : ٢٠٠٠/٤ .
- ٣٧- مسلم: الصحيح - كتاب الحج - باب حجة النبي - صلى الله عليه وسلم : ٨٩٠/٢ .
- ٣٨- مسلم : الصحيح - كتاب الجمعة - باب تخفيف الصلاة والخطبة : ٥٩٥/٢ .
- ٣٩- نفس المصدر : ٥٩/٢ .
- ٤٠- مسلم : الصحيح - كتاب العيدين : ٦٠٢/٢ .
- ٤١- الدارمي : السنن - باب اتباع السنة : ٤٤/٨ .
- ٤٢- مسلم : الصحيح - كتاب الفتن - باب أخبار النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى قيام الساعة : ٢٢١٦/٤ .
- ٤٣- البخاري: الصحيح - كتاب الإيمان - باب الزكاة في الإسلام : ١٣٠/١ .
- ٤٤- البخاري: الصحيح - كتاب الإيمان - باب أداء الخمس من الإيمان : ١٥٧/١ .
- ٤٥- مسلم : الصحيح - كتاب الجمعة - باب حديث التعليم في الخطبة : ٥٩٧/٢ .
- ٤٦- البخاري: الصحيح - كتاب الجنائز - باب موعظة الحديث عند القبر : ٢٢٥/٣ .
- ٤٧- أحمد : المسند : ١١/٣ .
- ٤٨- عبد الرزاق الصنعاني - المصنف : ٢٧٦/٥ .
- ٤٩- الأعظمي : كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ص : ١١١ .
- ٥٠- البخاري: الصحيح - كتاب فضائل القرآن - باب القراء من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم : ٦٦٢/٨ .
- ٥١- نفس المصدر : ٦٦٣/٨ .
- ٥٢- البخاري: الصحيح - كتاب فضائل القرآن - باب جمع القرآن : ٦٢٦/٨ .
- ٥٣- نفس المصدر : ٦٢٦/٨ .
- ٥٤- أحمد : المسند : ١٢/٢ .
- ٥٥- البخاري: الصحيح - كتاب العلم - باب حفظ العلم : ٢٥٨/١ .

- ٥٦- السيوطي : تدريب الراوي : ٣٨٠ .
- ٥٧- أحمد : المسند : ١٢/٢ .
- ٥٨- المراد بالوهط : الحديقة .
- ٥٩- الخطيب البغدادي : تقييد العلم : ٨٤ .
- ٦٠- البخاري : الصحيح - كتاب العلم - باب حفظ العلم : ٢٥٨/١ .
- ٦١- نفس المصدر : ٢٥٩/١ .
- ٦٢- السيوطي : تدريب الراوي : ٣٨٠ .
- ٦٣- ابن حزم : جوامع السيرة : ٣١٩ - ٣٢٣ .
- ٦٤- ابن ماجة : السفن - المقدمة : حديث رقم (١٥٤) ، ٥٥/١ .
- ٦٥- ابن سعد : الطبقات : ١١٥/٢ .
- ٦٦- الوزراء والكتاب : ١٢ - ١٣ .
- ٦٧- طبقات فقهاء اليمن : ١٨ .
- ٦٨- انظر : البخاري : الصحيح - كتاب بدء الوحي - باب (٦) : ٤٢/١ ، مع شرحه فتح البخاري .
- ٦٩- انظر مواضع تلك التخصصات في المصادر التالية :
- البخاري : الصحيح - كتاب العلم - باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم - اللهم علمه الكتاب : ٢٠٤/١ .
- وكتاب الصلاة - باب الشعر في المسجد : ٦٥٢/١ .
- والإصابة : ٣٠٢/٤ و ٥٠٧/٢ ، البخاري : الصحيح - كتاب الجهاد والسير - باب كتابة الإمام الناس :
- ٢٠٦/٦ (حديث رقم : ٣٠٦٠) و (حديث رقم : ٣٠٦١) .
- ٧٠- الهيثمي : مجمع الزوائد : ١٦٤/١ .
- ٧١- البيهقي : السنن : ١٢٦/٦ .
- ٧٢- البخاري : الصحيح - كتاب العلم - باب حفظ العلم : ٢٥٨/١ .
- ٧٣- سورة البقرة ، آية : ١٥٩ - ١٦٠ .
- ٧٤- السيوطي : تدريب الراوي : ٢٢٣ .
- ٧٥- خليفة بن خياط : ٤٢ .
- ٧٦- أحمد : المسند : ٤٩٠/٣ .
- ٧٧- الذهبي : سير أعلام النبلاء : ٢٠٠/١ .
- ٧٨- أبو داود : السنن - كتاب الزكاة - باب ما لا يجوز من الثمرة في الصدقة : ٤٩٦/٤ .
- ٧٩- أبو داود : السنن - كتاب الزكاة - باب حقوق المال : ٨٠/٥ .
- ٨٠- القرايب الإدارية : ٤٧٥/١ .

- ٨١- الإمام أحمد: المسند: ٢٠٦/٤.
- ٨٢- ابن حجر: الإصابة: ٢٦-٢٥/١.
- ٨٣- نفس المصدر: ٤٤/١.
- ٨٤- البخاري: الصحيح - كتاب الرقاق - باب كيف كان عيش النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه وعزوفهم عن الدنيا: ٢٨٦/١١.
- ٨٥- سورة النحل، آيتان: ٥٩-٥٨.
- ٨٦- سورة النحل، آية: ٩٧.
- ٨٧- البخاري: الصحيح - كتاب النكاح - باب الوصية بالنساء: ١٦١/٩.
- ٨٨- مسلم: الصحيح - كتاب الرضاع - باب الوصية بالنساء: حديث رقم (٦٣).
- ٨٩- الترمذي: السنن - كتاب النكاح - باب ما جاء في حق المرأة على زوجها: ٣٢٥/٤.
- ٩٠- البخاري: الصحيح - كتاب النكاح - باب «قَوًّا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا»: ٢٥٤/٩.
- ٩١- نفس المصدر - باب استئذان المرأة زوجها في الخروج إلى المسجد وغيره: ٢٤٩/٩.
- ٩٢- البخاري: الصحيح - كتاب الصلاة - باب خروج النساء إلى المساجد بالليل: ٤٠٤/٢.
- ٩٣- البخاري: الصحيح - كتاب الجمعة - باب (٣): ٤٤٤/٢.
- ٩٤- البخاري: الصحيح - كتاب العيدين - باب خروج النساء والحيض إلى المصلى: ٥٣٧/٢.
- ٩٥- نفس المصدر - باب خروج الصبيان إلى المصلى: ٥٣٨/٢.
- ٩٦- نفس المصدر - باب العلم الذي بالمصلى: ٥٣٩/٢.
- ٩٧- نفس المصدر - باب موعظة الإمام النساء يوم العيد: ٥٤١/٢.
- ٩٨- البخاري: كتاب الكسوف: ٦٣١/٢.
- ٩٩- البخاري: الصحيح - كتاب العلم - باب هل يجعل للنساء يوماً على حده: ٢٣٦/١.
- ١٠٠- البخاري: الصحيح: ٢٣٧/١.
- ١٠١- البخاري: الصحيح - كتاب العلم - باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه: ٢٣٧/١.
- ١٠٢- فتح الباري: ٢٣٨/١.
- ١٠٣- نفس المصدر: ٢٣٨/١.
- ١٠٤- تدريب الراوي: ص: ٣٨٠.
- ١٠٥- ألف الزركشي كتاباً بعنوان: الإجابة فيما استدركته عائشة على الصحابة.
- ١٠٦- أبو داود: السنن - كتاب العلم - باب سرد الحديث: ٨٧/١.
- ١٠٧- سير أعلام النبلاء: ٥٠٧/٤.
- ١٠٨- الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٥٠٨/٤.
- ١٠٩- ابن حجر: الإصابة: ٢٧٣/٤.

- ١١٠- ابن حجر: الإصابة: ٤١١/٤-٤١٢.
- ١١١- ابن حجر: الإصابة: ٣١٣/٤.
- ١١٢- ابن حجر: الإصابة: ٣٣٨/٤.
- ١١٣- ابن حجر: الإصابة: ٣٠٧/٤.
- ١١٤- إتحاف الورى بأخبار أم القرى: ٤٦٩/١.
- ١١٥- ابن حجر: الإصابة: ٤٥٩/٤.
- ١١٦- ابن حجر: الإصابة: ٣٤٩-٣٤٨/٤.
- ١١٧- ابن حجر: الإصابة: ٣٤٢-٣٤١/٤.
- ١١٨- الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٢٧٧/٤-٢٧٨.
- ١١٩- مسلم: كتاب الزكاة - باب الزكاة على الزوج والأيتام: حديث (٥٠).
- ١٢٠- ابن عبد البر: الاستيعاب: ٢٣٧/٤-٢٣٨.
- ١٢١- أحمد: المسند: ١٨/٢.
- ١٢٢- البخاري: كتاب النكاح - باب قوله تعالى: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾: ٢٥٤/٩.
- ١٢٣- البخاري: كتاب العلم - باب تعليم الرجل أمته وأهله: ٢٢٩/١.
- ١٢٤- البخاري: الصحيح - كتاب الأدب - باب الاستنباط للناس: ٥٤٣/١٠.
- ١٢٥- نفس المصدر - باب من ترك صبية غيره حتى تلعب به: ٤٣٩/١٠.
- ١٢٦- نفس المصدر - باب رحمة الولد وتقبيله: ٤٢٠/١٠.
- ١٢٧- نفس المصدر - باب وضع الصبي في الحجر: ٤٤٨/١٠.
- ١٢٨- فتح الباري: ٤٤٨/١٠.
- ١٢٩- نفس المصدر - باب وضع الصبي على الفخذ: ٤٤٨/١٠.
- ١٣٠- البخاري: كتاب فضائل الصحابة - باب مناقب الحسن والحسين: ١٩٩/٧.
- ١٣١- البخاري: الصحيح - كتاب فضائل الصحابة - باب مناقب الحسن والحسين: ١١٩/٧.
- ١٣٢- البخاري: الصحيح - كتاب الوضوء - باب وضع الماء عند الخلاء: ٢٩٤/١.
- ١٣٣- ابن حجر: فتح الباري: ١٤٤/١.
- ١٣٤- البخاري: الصحيح - كتاب العلم - باب السر في العلم: ٢٥٦/١.
- ١٣٥- البخاري: الصحيح - كتاب العلم - باب متى يصح سماع الصغير: ٢٠٥/١.
- ١٣٦- الترمذي: السنن - كتاب صفة القيامة - باب (٢٢): ٢١٩/٧.
- ١٣٧- مسلم: الصحيح - كتاب الجنائز - باب أين يقوم الإمام من المبيت للصلاة عليه: ٦٦٤/٢.
- ١٣٨- البخاري: الصحيح - كتاب الزكاة - باب ما يذكر في الصدقة للنبي - صلى الله عليه وسلم: ١٨٣/٦.

- ١٣٩- البخاري: الصحيح - كتاب الأطعمة - باب التسمية على الطعام، والأكل باليمين: ٥١٧/٩.
- ١٤٠- البخاري: الصحيح - كتاب العلم - باب متى يصح سماع الصغير: ٢٠٧/١.
- ١٤١- البخاري: الصحيح - كتاب الأشربة - باب هل يستأذن الرجل عن يمينه في الشرب ليعطي الأكبر: ٨٦/١٠.
- ١٤٢- ابن حجر: الإصابة: ٨٤/١.
- ١٤٣- البخاري: الصحيح - كتاب المغازي - باب ٥٣: ٦١٦/٧.
- ١٤٤- سير أعلام النبلاء: ٥٢٣/٣.
- ١٤٥- الذهبي: السير: ٢٢٨/٤.
- ١٤٦- مسلم: الصحيح - كتاب الزهد والرقائق - باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام: ٢٢٩٩/٤.
- ١٤٧- البخاري: الصحيح - كتاب مناقب الأنصار - باب مقدم النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه: ٣٠٥/٧.
- والذهبي: السير: ١٤٥/١.
- ١٤٨- ابن سعد: الطبقات: ١٥١/٤.
- ١٤٩- أحمد: المسند: ٢٣٥/٥.
- ١٥٠- البخاري: الصحيح - كتاب المغازي - باب بعث أبي موسى الأشعري ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع: ٦٥٧/٧، ومسلم: حديث رقم (١٧٣٣).
- ١٥١- الذهبي: السير: ٤٤٩/١.
- ١٥٢- ابن سعد: الطبقات: ٣٣٠/٥.
- ١٥٣- الذهبي: السير: ٤٥٢/١.
- ١٥٤- الهيثمي: مجمع الزوائد: ١٢٧/٩.
- ١٥٥- نفس المصدر: ٣٥٤/٩.
- ١٥٦- ابن حجر: فتح الباري: ٤٣٩/٧.
- ١٥٧- البخاري: كتاب الإيمان - باب أداء الخمس من الإيمان: ١٥٧/١.
- ١٥٨- الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤٩١/١.
- ١٥٩- البخاري: الصحيح - كتاب بدء الوحي - باب (٧): ٤٣/١.
- ١٦٠- نفس المصدر: ٤٢/١، والهيثمي: مجمع الزوائد: ٣١٠/٥.
- ١٦١- الهيثمي: مجمع الزوائد: ٣١٠/٥.
- ١٦٢- نفس المصدر: ٣٠٨/٥.
- ١٦٣- البخاري: الصحيح - كتاب المغازي - باب كتاب النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى كسرى وقيصر: ٧٣٢/٧.

- ١٦٤ - محمد حميد الله : الوثائق السياسية : ٥٢ .
- ١٦٥ - الوثائق السياسية : ٤٣-٥٢ .
- ١٦٦ - نفس المصدر : ٥٣ .
- ١٦٧ - نفس المصدر : ٦٢ .
- ١٦٨ - نفس المصدر : ٦٤ .
- ١٦٩ - نفس المصدر : ٧٢ .
- ١٧٠ - نفس المصدر : ٧٨-٧٩ .
- ١٧١ - نفس المصدر : ٨٤ .
- ١٧٢ - نفس المصدر : ٨٩ .
- ١٧٣ - نفس المصدر : ٩٤ ، وانظر البخاري : ١٥٧/١ .
- ١٧٤ - نفس المصدر : ١١٠ .
- ١٧٥ - نفس المصدر : ١٥٧ .
- ١٧٦ - نفس المصدر : ١٧٥ .
- ١٧٧ - ابن ماجة : السنن - كتاب الزهد - باب التوكل واليقين : ١٣٩٥/٢ .
- ١٧٨ - الهيثمي : مجمع الزوائد : ١٥١/١ .
- ١٧٩ - الهيثمي : مجمع الزوائد : ١٩٦/١ ، وقال إسناده حسن .
- ١٨٠ - انظر قصة موسى والخضر في البخاري : الصحيح - كتاب العلم - باب الخروج في طلب العلم : ٢٠٨/١ .  
وغيرها من القصص .
- ١٨١ - البخاري : الصحيح - كتاب الجهاد والسير - باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم : ١٢٧/٦ .
- ١٨٢ - ابن عبد البر : الاستيعاب : ٥٨/٢ .
- ١٨٣ - ابن سعد : الطبقات : ١١٥/٢ .
- ١٨٤ - الحاكم : المستدرک : ١٤٠/٢ ، والبخاري : التاريخ الكبير : ٣٨١/٢ .
- ١٨٥ - ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله : ١٢١/١ .
- ١٨٦ - طبقات الأطباء : ٦١ .
- ١٨٧ - مسلم : الصحيح - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب ابتناء مسجد النبي - صلى الله عليه وسلم : ٣٧٣/١ .
- ١٨٨ - الخطيب البغدادي : الفقيه والمتفقه : ١٢٤/٢ .
- ١٨٩ - الصحيح - كتاب العلم - باب من قعد حيث ينتهي به المجلس : ١٨٨/١ .
- ١٩٠ - ابن ماجة : السنن - المقدمة : ٨٢/١ .
- ١٩١ - الأموال : ٢٧٢-٢٧٣ .
- ١٩٢ - البخاري : الصحيح - كتاب العلم - باب التناوب في العلم : ٢٢٣/١ .

- ١٩٣- البخاري: الصحيح - كتاب العلم - باب حفظ العلم: ٢٥٨/١.
- ١٩٤- الحاكم: المستدرک: ٩٤/١.
- ١٩٥- ابن ماجة: السنن - المقدمة: ٨٣/١.
- ١٩٦- ابن حجر: الإصابة: ٣١٩/٢.
- ١٩٧- أحمد: المسند: ٣١٥/٥.
- ١٩٨- البيهقي: السنن الكبرى: ١٢٦/٦.
- ١٩٩- القرايب الإدارية: ٣٤٠/١.
- ٢٠٠- أبو نعيم: الحلية: ٣٣٩/١.
- ٢٠١- البخاري: الصحيح - كتاب فضائل الصلاة في مسجد مكة والمدينة - باب من أتى مسجد قباء كل سبت:  
٨٣/٣.
- ٢٠٢- ابن حجر: الفتح: ٨٤/٣.
- ٢٠٣- نفس المصدر: ٨٤/٣.
- ٢٠٤- البلاذري: الأنساب: ٢٧٣/١.
- ٢٠٥- ابن سعد: الطبقات: ١٥٠/٤.

\*\*\*\*\*